

ملخص البحث

- **عنوان البحث:** مسالك الدين، وأثرها في الحفاظ على الوجود الإباضي.
- **اسم الباحث:** عبدالعزيز بن سعود بن سيف بن غصين أمبوسعيدي.
- **اسم المشرف:** الشيخ الدكتور/ إسماعيل بن صالح بن حمدان الأغبري.
- **اسم المناقش:** الشيخ الدكتور/ إبراهيم بن يوسف بن سيف الأغبري.
- **أسباب اختيار الموضوع:**

(١) تقديم ولو بشيء يسير لهذا المذهب العريق.

(٢) تتبع تاريخ المذهب، ومعرفة العوامل التي ساعدت على مواصلته، وبقاءه، ومعرفة أعلامه الكبار الذين كانوا سببا في تدعيم استمراره.

(٣) الكشف ما خفي من أسرار ثبوته قدر الإمكان، مع التوضيح بالأدلة والقرائن.

(٤) تبويب ما هو متفرق في هذا الجانب وترتيب المسالك وجمعها في بحث واحد والتفصيل فيها.

- **خطة البحث:**
  - المقدمة
  - الفصل التمهيدي: نشأة المسلك في المذهب الإباضي
    - المبحث الأول: التعريف بالمسلك
    - المبحث الثاني: نشأة المذهب الإباضي وتاريخه
    - المبحث الثالث: تطبيقاته
  - الفصل الثاني: مسلك الظهور
    - المبحث الأول: مسلك الظهور وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي
      - المطلب الأول: معنى الظهور لغة واصطلاحاً
      - المطلب الثاني: أدلة الظهور من عهد النبي والخلفاء
      - المطلب الثالث: أحكام الظهور وشروطه

- المطلب الرابع: نماذج من أئمة الظهور
- الفصل الثالث: مسلك الدفاع
  - المبحث الأول: مسلك الدفاع وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي
    - المطلب الأول: معنى الدفاع لغة واصطلاحاً
    - المطلب الثاني: أدلة الدفاع من عهد الصحابة
    - المطلب الثالث: أحكام الدفاع وشروطه
    - المطلب الرابع: نماذج من أئمة الدفاع
- الفصل الرابع: مسلك الشراء
  - المبحث الأول: مسلك الشراء وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي
    - المطلب الأول: معنى الشراء لغة واصطلاحاً
    - المطلب الثاني: أدلة الشراء من الكتاب ومن الواقع
    - المطلب الثالث: أحكام الشراء وشروطه
    - المطلب الرابع: نماذج من أئمة الشراء
- الفصل الخامس: مسلك الكتمان
  - المبحث الأول: مسلك الكتمان وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي
    - المطلب الأول: معنى الكتمان لغة واصطلاحا
    - المطلب الثاني: أدلة الكتمان من الكتاب ومن العهد المكي
    - المطلب الثالث: أحكام الكتمان وشروطه
    - المطلب الرابع: نماذج من أئمة الكتمان (العزابة أنموذجاً)
- الخاتمة

- **أهم النتائج:**

(١) وفي نهاية هذا البحث "مسالك الدين، وأثرها في الحفاظ على الوجود الإباضي"، أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها.

(٢) بداية ونشأة المذهب الإباضي في القرن الأول، والحركات التي وقعت في ريعان نشوبه، وحاجة المسالك التي أصبحت بعد ذلك مقننة ومعتبرة، ومأخوذ بها بين قادتها.

(٣) الفائدة الملموسة تاريخيا من الأخذ بالأحكام الشرعية الأربعة –المسالك– في الناحية السياسية للدولة الإباضية.

(٤) أنواع المسالك، وصلاحية كل مسلك في كل مرحلة، والشروط اللازم توافرها، والأحكام التابعة لكل مسلك من مسالكها.

(٥) معاني الطرق والمسالك التي اصطلح عليها الإباضية في واقعهم منذ القرن الأول، وإلى هذا العصر.

(٦) أهم التطبيقات لهذه المسالك، وأثرها في حفظ دولة المسلمين عامة، والإباضية خاصة.

(٧) التضحيات التي قام بها كبار الأئمة من أجل رسوخ قواعد المذهب، ولضمان دوامه واستمرارية وجوده في الدول.

(٨) الأدلة التي استند إليها الإباضية في تحديد أنواع المسالك والقواعد التي استندوا عليها لتخريجها في أرض الواقع السياسي.

(٩) الكشف عن أسرار بقاء المذهب وسر تعايش الإباضية مع غيرهم من الطوائف.

(١٠) وضوح ومعرفة حقيقة المذهب الإباضي عن ما ينسب إليه من غيره.

(١١) القدرة على تحديد كل إمامة بحسب الأحكام والوقائع التي كانت تعيشها.

(١٢) معرفة الأنظمة التي يتبعها الإباضية في الرقي بالمستوى الديني والعلمي والحفاظ على الرصانة الدينية بينهم– العزابة أنموذجا – .

الإهداء

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب

إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير (أبي العزيز)

إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى القلب الناصع بالبياض (أمّي الحبيبة)

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة، والنفوس البريئة، إلى رياحين حياتي، (إخوتي)

الآن تفتح الأشرعة، وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة، وفي هذه الظلمة لا يضئ إلا قنديل الذكريات، ذكريات الأخوة البعيدة، إلى الذين أحببتهم وأحبوني في الله (أصدقائي).

إليكم أهدي هذا العمل. . .

كلمة شكر

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية، من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الكلية مع أساتذتنا ومشايخنا الكرام، الذين قدموا لنا الكثير، باذلين بذلك جهودا كبيرة وجبارة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد. .

وقبل أن نمضي أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة. . .

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة. . .

إلى جميع شيوخنا وأساتذتنا وعلمائنا الأفاضل. . .

وأخص بالتقدير والشكر، مشرف بحثي الدكتور إسماعيل الأغبري، الذي ما انفك يدعمني ويؤيدني ويعينني ويرشدني ويسقيني من مورد علمه وعلومه، و لم يبخل علي قط في الإجابة عن سؤال أو استفسار أو معلومة هادفة تخص هذا البحث، فله مني جزيل الدعاء ووافر الثناء، وجزاه الله كل خير.

وكذلك الدكتور إبراهيم الأغبري، الذي تفضل بإشراف هذا البحث وأمده بنقده البناء، وصحح المسار إلى الصراط القويم، فجزاه الله عني كل خير وله مني كل التقدير والاحترام والوفاء.

ولا أنسى أن أشكر الدكتور أحمد عيد عبدالرحيم الذي كان حافزا كبيرا لي، وله من الفضل الكبير على إتمام البحث، فله مني أحر التحايا وأنسم الدعوات.

وأشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث وقدم لي العون ومد لي يد المساعدة وزودني بما هو لازم لإتمامه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل للدين مسالكا تنير الدروب وتحفظ من الكروب، وسخّر الإنسان يموج في بحار الحياة، وألهمه الرشد والطريق إلى الصواب، وعلمه ما لم يكن يعلم، وهداه إلى الكتاب العزيز وسنة النبي الكريم، فاقتدى آثارهما، وسار بهديهما، وامثل لله بأمرهما، فحاز المراتب العليا وما دونهما، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وسراج المهتدين، محمد بن عبدالله خير الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإن المذهب الإباضي ذو تاريخ كبير، وسمات عظيمة، برزت متفردة فيه دون سواه، فقد كان من الواجب أن يُستقصى تأريخه، مشمولا بطرق وأسس وجوده، والعوامل التي ساعدت على رسوخه وحققت له النصر إلى هذا العصر.

وقد اطلعت على كتابات عدة في مجال مسالك الدين، غير أن أكثرها غير مستقل، وإنما ترد خلال الحديث عن الأدوار السياسية التي قام بها الإباضية خلال مراحل نشأتهم وتأسيس دولتهم، كما أن هناك كتابات عن نشأة المذهب وقد أفدت منها.

وتكمن أهمية البحث في هذا الجانب، وذلك لأن الموضوع له أهمية كبرى في الكشف عن أسس بقاء المذهب الإباضي منذ فترة ولادته، والأحداث التي واكبها، والصعاب التي نشأ في ظلها، وما كانت عليه الأحوال في تلكم العصور، وما الطرق التي جعلته ينجو من الظلم والاستبداد الذي كان معهودا في تلكم الأزمنة على مرها، وكيف تصدى لها من هم أصبحوا أعلاما الآن في هذا المذهب، وقادة كبار، سطر التاريخ عناوينا وكتبا لمعت بأسمائهم، وفاحت عبيرا في ذكر أفعالهم وقياداتهم، وترنمت في نسج بطولاتهم وسطواتهم.

فكان حريا بنا أن نستقي من جواهر تخطيطهم، وعميق دهائهم، وصدق إيمانهم، وعظيم إنجازهم، حيث سجل المذهب الإباضي على قمم السحاب أئمة وعلماء كانوا نجوما في الليالي

الحالكة، أضاءت في سماء كانت تتلبد بسواد الظلم، والقهر، فأردنا أن نأخذ من سيرهم وأخبارهم ولو بالشيء القليل الذي يمكن حصره وجمعه عنهم.

خطة البحث:

- المقدمة
- الفصل التمهيدي: نشأة المسلك في المذهب الإباضي
  - المبحث الأول: التعريف بالمسلك
  - المبحث الثاني: نشأة المذهب الإباضي وتاريخه
  - المبحث الثالث: تطبيقاته
- الفصل الثاني: مسلك الظهور
  - المبحث الأول: مسلك الظهور وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي
    - المطلب الأول: معنى الظهور لغة واصطلاحاً
    - المطلب الثاني: أدلة الظهور من عهد النبي والخلفاء
    - المطلب الثالث: أحكام الظهور وشروطه
    - المطلب الرابع: نماذج من أئمة الظهور
- الفصل الثالث: مسلك الدفاع
  - المبحث الأول: مسلك الدفاع وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي
    - المطلب الأول: معنى الدفاع لغة واصطلاحاً
    - المطلب الثاني: أدلة الدفاع من عهد الصحابة
    - المطلب الثالث: أحكام الدفاع وشروطه
    - المطلب الرابع: نماذج من أئمة الدفاع
- الفصل الرابع: مسلك الشراء
  - المبحث الأول: مسلك الشراء وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي
    - المطلب الأول: معنى الشراء لغة واصطلاحاً
    - المطلب الثاني: أدلة الشراء من الكتاب ومن الواقع

- المطلب الثالث: أحكام الشراء وشروطه
- المطلب الرابع: نماذج من أئمة الشراء

○ الفصل الخامس: مسلك الكتمان

■ المبحث الأول: مسلك الكتمان وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي

- المطلب الأول: معنى الكتمان لغة واصطلاحا
- المطلب الثاني: أدلة الكتمان من الكتاب ومن العهد المكي
- المطلب الثالث: أحكام الكتمان وشروطه
- المطلب الرابع: نماذج من أئمة الكتمان (العزابة أنموذجاً)

○ الخاتمة

صعوبات البحث:

إن الصعوبة في الحياة أمر لا مفر منه، فهي التي تجعل للحياة طعما ولونا، فلذا كانت الصعوبات في البحث أمر جعله يقوم على قوة العزيمة، وصدق الإصرار على المواصلة في بحور العلم. فقد كانت الصعوبات والمشكلات تقع في تحليل النصوص التأريخية غالباً، حيث يحتاج إلى عمق تدبر وتصور، حتى لا يقع الباحث في خلط بين الأحداث والوقائع، وتشتبك عليه الأحكام، وكذلك أيضا في قلة البحوث أو المصادر في هذا الموضوع في المسالك حيث أن الكتابات قليلة لا تتوسع كثيرا في هذا الموضوع، وأيضا في معرفة التاريخ المندرج تحت هذه المسالك سواء بالصحة أو بتحديد الأعوام والشخصيات.

هذا وأسال الله العلي القدير أن يهدينا إلى سبيل الحق والرشاد، ويمن علينا بالهداية والقبول والرضوان، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع قدير مجيب الدعاء.

والحمد لله رب العالمين

عبدالعزيز بن سعود أمبوسعيدي

الخوير- مسقط

٢١ رجب ١٤٣٦هـ، الموافق ١٠ مايو ٢٠١٥م

الفصل التمهيدي: نشأة المسلك في المذهب الإباضي

المبحث الأول: التعريف بالمسلك:

المطلب الأول: المسلك لغة:

هو الطريق أو الأداة التي يتوصل بها، ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٩-٢٠]، والسبل: الطرق.

جاء في لسان العرب:

"سَلَكَ: السُلوك: مصدر سَلك طريقا؛ وسَلك المكان يَسلكه.

والسَلك، بالفتح: مصدر سلكت الشيء في الشيء فانسلك أي أدخلته فيه فدخل. ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٠]"[(١)].

وجاء في المعجم الوسيط:

"(سلك) المكان، وبه وفيه: دخل ونفذ.

(المَسْلك): الطريق. ومنه مسالك المياه.

(ج) مسالك: ويقال: خذ في مسالك الحق"[(٢)].

(١) لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين ابن منظور المصري، م٧، ط٤، ٢٠٠٥م، دار صادر بيروت لبنان، ص٢٣٧.

(٢) المعجم الوسيط، ج١، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع استانبول تركيا، ص٤٤٥

المطلب الثاني: المسالك اصطلاحاً:

هناك عدة تعريفات لمعنى المسالك، ومن هذه التعريفات المشهورة والأكثر شيوعا تعريف القطب، فهي "الأحكام الشرعية الأربعة، أي الطرق التي يتوصل بها إلى إنفاذ الأحكام الشرعية".[1]

و هي المراحل الانتقالية أو أنواع أنظمة الحكم المرتبة حسب كل ظرف يناسبها، وموافقة للشروط الملازمة لكل ما يتضمنه كل مسلك، ويخول انتهاجها عندما تتأتى الفرصة وتسمح الظروف ويصدق الواقع ما سيقع.

وفي هذا الجانب يتحدث محمد نمر المدني في كتابه الإباضية أهل الحق والاستقامة ذاكرا الفقه عند الإباضية حيث يقول: "وهذه المراحل إضافة إلى غيرها هي طرق أربع لنظام الحكم عندهم طبقوها على العهد النبوي والراشدي (عهد الخلفاء الأربعة) وأطلقوا عليها اسم مسالك الدين".[2]

إن مسالك الدين لا تعدو عن كون هدفها الأسمى الحفاظ على نظام الدين من حيث رعايته، وصون حرماته، وإقامة الدين كما نزل من الله، وكما صانه سيد الخلق وأقامه حق الإقامة، وكذلك مباغتة الباطل والبغي والعدوان وصده والتصدي له بهذه الطرق الأربعة المحصورة في "مسالك الدين"، حيث يعتبر هذا الأصل "من أصول الفكر السياسي عند الإباضية. وهو يحمل مدلولا ثوريا لإزالة الظلم والحيف السياسي عن المجتمع الإسلامي وجث جذوره"[3]

يقول العلامة نور الدين السالمي في منظومة غاية المراد:

---

(١) شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش، ت: مصطفى بن الناصر وينتن، ط٢، ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ، المطبعة العربية ١١ نهج طالبي أحمد غرادية، ص١٩٥

(٢) الإباضية أهل الحق والاستقامة، محمد نمر المدني، ط٤، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ص٨٩

(٣) دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، بكير بن سعيد أعوشت، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، مكتبة الضامري، ص١١٣

ثم الظهور ودفع والشراء مع الـــ كتمان طرق له أكرم بها سبلا

فهنا حصر الطرق أو المنهج أو المسالك في: الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان.

وفي هذا نجد نسقا وتوافقا واضحا بين التعريف اللغوي والاصطلاحي، حيث إن معنى الطريق أو المسلك عادة ما يكون موصلا لغاية وهدف يرجى الوصول عن طريقه إلى النجاح، ويكون مدركا لما يؤول إليه. والمسلك إنما يسلكه صاحبه ليحقق مصلحة في الغالب، ويتجنب مفسدة يتوقع حصولها حال عدم اللجؤ إلى المسلك الصحيح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾[الأحقاف: ٣٠] ، فمن جعل للدين المسلك والطريق المناسب له في الظرف الحال آنذاك، وامتثل بأمر الله تعالى؛ نجى وسلم، ورفع راية النصر في دينه واهتدى للحق وفاز فوزا عظيما.

لذا وجب على الإباضية حين أوجبوا على أنفسهم تحديد الظروف المعايشة لكل مسلك أن ينهجوا المسلك المناسب حسب ما يتعين في تلك الفترة أو الحالة حفاظا على دينهم، وردعا لأي تشقق قد يطرأ في تلك الأحوال عليهم، وهذا هو السر الذي انكشف في القرون الأخيرة عن حقيقة ثبات هذا المذهب على ما طرأ عليه من عوامل كادت أن تودي ببقائه وتفني معالمه، ولكن بفضل الأعلام الكبار كان التخطيط الواسع الذهن البعيد المدى الذي كان يرى الطريق السليم لاستدامة مذهبهم ومسايرة السلطات الجائرة بالكتمان حين تحاول قمع من يتبع هذا المذهب وأعلامه أو يستبد برأيه أو يتعسف في استخدام الحق على غيره، وهذا كله حقق إنجازا عظيما وحول الكتمان إلى ظهور وغلبة وشوكة لهم، وكذلك بالظهور حال وجود الاستطاعة أو بالدفاع حين يلزم الأمر أو بالمبايعة على الشراء وبيع الروح المؤمنة في سبيل الله لهدف عظيم وغاية أعظم، وهذا إن كان على سلطة غاشمة تدعي الإسلام بغض النظر عند مواجهة غير المسلمين وفرض الظهور عليهم حال توافرت الشروط وتحققت الأسباب المواتية لذلك.

المبحث الثاني: تاريخ نشأة المسلك في المذهب الإباضي وتطبيقات المسالك:

المطلب الأول: تاريخ نشأة المسلك في المذهب الإباضي:

يعود تاريخ نشأة هذا المذهب العريق إلى القرن الأول كما يعرفها المؤرخون وذلك حال افتراق الأمة في زمن الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – بعد واقعة صفين، حيث تشعبت الأمم وتحزبت، فكان للإباضية نصيب منها وذلك حين لم يرضوا بالتحكيم، واعتزلوا عليا ومعاوية، وانفردوا بأنفسهم، وعينوا لهم إماما، وهو عبدالله بن وهب الراسبي، ويعتبر أول إمام في تأريخ الإباضية يقول القطب: "وأما عبدالله بن وهب الراسبي فإنه من الأزد، وهو أول إمام عقد له أصحابنا الإمامة"[(١)] ولذا كانت الإمامة العظمى واجبة عندهم لا يمكن الأمر دونها، وتعددت طرق وأنظمة الحكم بحسب الحال الذي يقضي بذلك، و "هذه المسالك هي ثمرة الخط السياسي المعتدل الذي سار عليه الإباضية منذ قرن النبوة"[(٢)] فقد هيأ الإباضية لأنفسهم الحكم على حسب واقع عيشهم؛ فـــ"ظل ذلك النموذج المثالي المرجع والمحك خلال شتى الأوضاع المحلية والتاريخية وتقلبات الأحوال والملابسات التي مرت بها تلك الإمامة عبر العصور"[(٣)] وبدا ذلك حين اضطروا للخروج عن جماعة علي وأصحابه بعد ما وقع التحكيم؛ فقد كان هناك "شخصيات من كبار التابعين، آلمها الحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية من الابتعاد عن منهج الخلافة الراشدة في السياسية والحكم، وتدبير مصالح الأمة، ورأت أن لا خلاص من ذلك إلا بالعودة إلى النهج الراشدي في اختيار الإمام وممارسة صلاحياته"[(٤)] فنصبوا إماما لهم يقومهم ويسير أمر دينهم

---

(١) شرح عقيدة التوحيد، امحمد بن يوسف اطفيش، ص٢٠٧

(٢) الإمامة في الفقه الإسلامي، د. علي بن هلال العبري، ط١، ٢٠١٥م/١٤٣٦هـــ، مكتبة الضامري السيب، ص٤٥.

(٣) مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، المستشرق البولندي بيير كوبرلي، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣١هـــ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ص٤٠٤

(٤) الإمامة في الفقه الإسلامي، د. علي بن هلال العبري، ص٤١

ودنياهم فكان الإمام عبدالله بن وهب إذ "كان ظهوره نتيجة للصراع بين الأحزاب المتقدمة"[1] حين اعتبروا أن الإمامة أصبحت شاغرة لا أحد ممسك بزمامها وأن عليا قد فارق عمل من سبقه من الخلفاء الراشدين وتخلى وانسلخ عن سلطته بعد ما وافق على التحكيم، وقد كان هو الحاكم الشرعي قبل قبوله بالتحكيم ولكن بعد ذلك صدع للحيلة ووافق لما أرادوه منه وعزلوه بعد أن كان حاكما المسلمين بالطريق الشرعي التي سرت على من قبله من الخلفاء الثلاثة، وهنا تحرك الإباضية وجعلوا لهم من يكون إماما لهم يحمي بيضتهم ويسوسهم في خط واحد ويحكم بحكم كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ولكن وقع ما وقع بعد ذلك من حرب علي لهم في معركة النهروان التي أودت بحياة إمامهم الأول وقضت على جماعتهم في بادئ أمره وهي في فتوتها وريعان بدايتها، وكان ذلك بالنسبة لهم تغيير جذري للنظام الذي أصبح عقودا من الزمان يسلك مسلك الكتمان وذلك حتى لا يقمع وتهد أركانه كما حدث في بدايته وسابق أوانه، وكان هو الاختيار الموفق الذي استمر بعد ذلك إلى ما شاء الله من الزمن.

(١) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون جهلان، ط٣، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، مكتبة الضامري السيب، ص٢٦

المطلب الثاني: تطبيقات المسالك:

وأما التطبيقات والأمثلة على المسالك في المذهب الإباضي فقد تعددت في جميع المسالك زمانيا ومكانيا منذ بداية القرن الأول وحتى القرن الرابع عشر هجريا، "ونظرا لاختلاف الإباضية عن غيرها من الفرق الخارجية، وإتباعها أساليب سياسية تراعي الظروف المحيطة بالدعوة الإباضية في مرحلتي الكتمان (الضعف) والظهور (القوة)، فقد تعدد أنواع الأئمة في الدعوة وكان لكل مرحلة من المراحل التي مرت بها الدعوة إمامها الخاص"[1] وذلك بداية بمسلك الظهور، فالظهور هو البوابة الكبرى – لقوته وحسن بروزه – لحماية حقوق الدين وهو الهدف الرئيس من جميع المسالك، ونظامه نظام العدل وهو أساس النظام لحماية من يعيش تحت سقفه من الهلاك المحيط من حوله والذي تحقق في اليمن وكانت إمامة عبدالله بن يحى الكندي، الملقب بـــ (طالب الحق) سنة(١٢٩هـــ)، والذي زحف إلى أرض الحجاز لإقامة الدولة الصحيحة والعادلة، ولإغاثة الناس من ما وقع من فساد قد استشرى آنذاك وفاح الظلم وانتشر في ما بينهم محاولا جهده أن يدخل السكينة في قلوب المستضعفين ويبعث الرحمة والرأفة، ويقيم العدالة الاجتماعية وفق موازين الشرع الشريف، ولكن شاءت الأقدار أن تكتب النهاية مرة أخرى كما في إمامة ابن وهب الراسبي الذي كان إماما للمحكمة الذين قالوا: (لا حكم إلا لله)، وهي كذلك من التطبيقات البارزة في إمامة الدفاع التي تصدت لها وقهرتها سلطة علي، فكانت مثالا على الدفاع وصد الأذى عن ما يلحقهم وحماية أنفسهم ،وأموالهم، ودينهم من القهر والظلم اللاحق بطائفتهم.

وأما الشراء فأشهر تطبيقاته، إمام الشراة الشهيد أبو بلال مرداس بن حدير التميمي الذي لم ينكر أحد حسن سيرته، وصفاء عقيدته، وطهارة معتقده، ودماثة تعامله، وفكره الواسع العميق في التعامل مع سائر الظروف، ومواكبة الأحوال التي تكون خارجة عن إرادة المسلمين وسيطرتهم،

(١) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ط٢، دار الحكمة لندن، ٢٠٠٣م، ص٢٦٤

فقد عاش أبو بلال في البصرة ودعى إلى الصلاح والاصلاح، ونبذ التعصب والفرقة؛ ولكن لما استعظم الأمر وفاح الظلم استنكرت نفسه الطاهرة ما يقع من فساد؛ و لم يسعه أن يقيم خارج إطار الشرع الحنيف البعيد عن الهدي النبوي الصارف عن تحقيق العدل والمساوة وتطبيق حدود الله، فرحل هو وصحبه الكرام شارين الحياة الدنيا بالآخرة لا يلقون بالا للدنيا وزينتها معتكفين على حب الله وطاعته والولاء له، ومن باع نفسه لله تعالى رخيصة فلن يبالي أن تفتك وتزهق ما دامت تحت ظلال سبيله؛ حتى قتل هو وأصحابه الأشراف وقضوا نحبهم وهم بين راكع وساجد في يوم الجمعة المبارك سنة ٦١ هـــ.

وأما الإمام الكبير أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني إمام الكتمان عندما أبصر ببصيرته الثاقبة عدم انتظام الدولة وظهورها في ذلك الوقت واجتماع الشمل وكثرة العدو والخوف من السلطة الغاشمة كان المسلك المناسب له ولأصحابه أن يكتموا ويخفوا أمر دينهم كي لا ينتهي أمرهم ولّم شملهم وقوة إيمانهم ودينهم فقد كان أنموذجا واضحا وساطعا في السير على تطبيق مسلك الكتمان بحذافيره وذلك يتضح لنا من أنه كان يأمر بحرق رسائله وكان يتظاهر بالضعف عن القضاء، "يطلق الإباضية على المرحلة التي كان فيها جابر بن زيد بمرحلة (الكتمان) التي استمرت حتى وفاته سنة ٩٣هـــ"[١] وتابع وسلك على ذلك تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي فانتهج بعده مسلك الكتمان الذي كان مخرجا كبيرا للدعوة "إذ تمخضت عن ميلاد بيعات لأئمة ظهور بارزين فقد بويع لأربعة من تلامذته بيعة ظهور"[٢] وكذلك الحفاظ على الأسس والقواعد التي أرساها شيخه والاقتداء بالنبي ﷺ ، واتباع نهجه، حيث جاء عن براعة الإمام أبي عبيدة في إحكام التنظيم بالقول: "إنه التأسي بالرسول ﷺ بإقامة مجالس سرية في مرحلة

(١) الإباضية أهل الحق والاستقامة، محمد نمر المدني، ص١٥

(٢) شرح غاية المراد، سماحة الشيخ أحمد الخليلي، ط١، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـــ، ص١٢١

الكتمان، هذه الأحوال الشبيهة بأحوال المسلمين في دار الأرقم بن أبي الأرقم"[1]، وهذا المسلك كان له الدور الكبير والطويل في الحفاظ على الصورة الإباضية التي يشهد لها التاريخ بذلك.

"يعد هذا الأصل مسالك الدين من أهم ما يتميز به الإباضية في مجال الفكر السياسي فهو يضع جملة من التعاليم والمبادئ يحدد الإباضية وفقها مواقفهم السياسية في مختلف الظروف الزمانية والمكانية سواء المتعلقة بالشؤون الخارجية متمثلة في علاقتهم بالدول الأخرى أم تكتلات مخالفيهم"[2].

ويستشهد بذلك قول صاحب المصنف رحمه الله تعالى في مسألة الكتمان التي جاء فيها: "فذلك معروف السيرة فيه عند المسلمين، أهل العدل. وذلك أن كتمان المسلمين أكثر من ظهورهم؛ لأنهم في زمان علي ابن أبي طالب إلى زمان عبدالله بن يحيى. وذلك سبع وتسعون سنة، كلها كتمان"[3] ، وهذه تطبيقات وأمثلة على المسالك الأربعة عرضنا لها في لمحة خاطفة، والتفصيل يكون في كل مسلك على حدة.

(١) نفحات من السير، فرحات الجعبيري، ج٣-٤، ٢٠٠١م/١٤٢١ه، ص١١

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون جهلان، ص١٧٧

(٣) المصنف، أبي بكر أحمد بن عبدالله الكندي، ج١٠، وزارة التراث سلطنة عمان، ١٩٨٣م/١٤٠٣هـ، ص٥٢

الفصل الثاني: مسلك الظهور

المبحث الأول: مسلك الظهور وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي:

المطلب الأول: معنى الظهور لغة واصطلاحاً:

أولاً: معنى الظهور لغة:

جاء في لسان العرب: والظهور: الظفر بالشيء والاطلاع عليه. ابن سيده: الظهور الظفر؛ ظهر عليه يظهر ظهورا وأظهره الله عليه. وظهرت عليه: قويت عليه. ويقال: ظهر فلان على فلان أي قوي عليه. وفلان ظاهر على فلان أي غالب عليه. وظهرت على الرجل: غلبته. وفي الحديث: فظهر الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، عهد فقنت شهرا بعد الركوع يدعو عليهم؛ أي غلبوهم. وظهر على الشيء إذا غلبه وعلاه. وقوله تعالى: ومعارج عليها يظهرون أي يعلون وقوله تعالى: فأصبحوا ظاهرين؛ أي غالبين عالين، من قولك: ظهرت على فلان أي علوته وغلبته. يقال: اظهر الله المسلمين على الكافرين أي أعلاهم عليهم. وظهر الشيء بالفتح ظهورا: تبين. وأظهرت الشيء: بينته. والظهور: بدو الشيء الخفي. يقال: أظهرني الله على ما سرق مني أي أطلعني عليه.[1]

وجاء في المعجم الوسيط: (ظهر) الشيء – ظهورا. تبين وبرز بعد الخفاء. وعلى الحائط ونحوه: علاه. وفي التنزيل العزيز: "إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم" وعلى عدوه و به: غلبة. (تظاهروا): تعاونوا. وتجمعوا ليعلنوا رضاهم أو سخطهم عن أمر يهمهم. (مج).[2]

(١) لسان العرب، ابن منظور، ص٢٠٢

(٢) المعجم الوسيط، ج٢، ص٥٧٨

فالظهور لفظ يضم الكثير من المعاني والتي أبرزها تنصب في القوة، والغلبة، والنصر، والسبيل إلى تحقيق الحق وبيانه وإبطال الباطل، والعلو، والرفعة، والتعاون، والتآزر في صف واحد، ويكون ضد منكر أو عدو أو ظلم لم يرتضى وجوده ويرجى زواله.

ثانياً: الظهور في الاصطلاح:

والظهور هو من أسمى وأجل وأعظم الطرق وأوّلها، وذلك لما يتسم به من قوة شوكة المسلمين حال ظهورهم على عدوهم وإعلاء راية دينهم وتسوية الأمور لما يروه مناسبا في وضعهم مع وجود القوة فيما بينهم على عدوهم، وميزة هذا المسلك الجليل في أنه يكون على الجميع سواسية ومن أمثلة هذا المسلك وهو خير مثال: ظهور النبي ﷺ وأصحابه الكرام في العهد المكي بعد اكتمال الشروط كما سيأتي ذكرها بإذن الله تعالى.

إن الظهور هو أساس تطبيق العدل، وإفشاء الأمن والأمان بين الرعية، وهو تحسين لوضع سابق على ما كان عليه، وهذا ما يظهر جليا في قوة العزيمة من المسلمين في استعمال كل ما يوصل للحق، مع نيتهم الخالصة في تخليص الإسلام من القهر ورفع الإساءة عنه والذود عنه ولو كان مقابل حياة كل فرد منهم.

فهو تغلب المسلمين قوة وعلوا وتمكنا وسيطرة على من أرغمهم بالظهور، وإمامة الظهور هي الأصل "التي يعمل المسلمون من أجل إقامتها، كما تبقى سائر قواعد الإمامة وضوابطها من حيث الاختيار، وشروطها ووجوبها بدون تبديل ولا تغيير"[1] ، والفوز، "وتترجم أحيانا بحالة النصر"[2]. "فهو – كاسمه – ينبئ عن القوة واجتماع شمل الأمة وانتظام أمرها وعلو كلمة الحق

(١) الإمامة عند الإباضية، بكير بن بلحاج وعلي، ج١، مكتبة الضامري السيب، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، ص٣٠٠

(٢) عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث، ط٤، ٢٠٠٦م، دار الفارابي بيروت لبنان، د حسين غباش، ص٦٩

وتمكن عصبته من قيادة سفينة الأمة وفق نظام دينها"[١] ؛ حيث تظهر مكامن قوتهم وسطوتهم على الأعداء الظالمين، وبذلك يتحقق العدل والسلم ويعم الأمن والأمان وينقشع ظلام الظلم ويمسح غبار الجهل والغشامة ويتبدد قمع المسلمين وقهرهم بعلو الحق وأهله. لذا يؤمر المسلمون بالإنعراج لهذا المسلك حال توافرت لهم الشروط وسنحت لهم الفرصة المواتية وانبسطت وتذللت أمامهم الصعاب التي لولا غيابها لما تمكن هذا المسلك من ثباته والصمود على ما استحدث من أمر. "وبما أن هذا المسلك هو أعلى المسالك وأجلها إذ هو أصفاها موردا وأطيبها ثمرا لم تتوان همم أهل الحق والاستقامة في حال ما تكون الفرص مواتية عن الأخذ بنظامه والاعتصام بحبله"[٢]؛ لذا فهذا المسلك هو الأساس والفرض والواجب والأصل "إمامة الظهور أو البيعة: وهي أهم أنواع الإمامة بل إنها الهدف الذي يسعى إليه الإباضية في جميع مراحل تاريخهم"[٣] وهي ما يسميها الإباضية الإمامة العظمى أو الظهور أو الأصل و"أما قيام الخلافة الراشدة وفق شروطهم فيسمونها مرحلة (الظهور) "[٤].

وفي هذه المرحلة تقام الحدود والشعائر والواجبات التي هي أصل لما تتبعه، "وهذه الحالة هي التي تضع فيها الإمامة الأعراف، وتشيد فيها الحركة الشرائع والقوانين الإباضية. وهي الوضع الطبيعي للحركة الإباضية"[٥].

(١) شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، أحمد الخليلي، ص١١٧

(٢) شرح غاية المراد، الخليلي، ص١١٨

(٣) عمان و الحضارة الإسلامية، د. عوض محمد خليفات و د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص٨٨

(٤) الإباضية أهل الحق والاستقامة، محمد نمر المدني، ص١٥

(٥) عمان الديمقراطية الإسلامية، ، د حسين غباش، ص٦٩

فلا ريب أن الظهور هو سيد المسالك لما يتجلى فيه من القوة الكامنة في بروزه وإعلانه واشتهاره وبث الهيبة والرهبة في وجه العدو وإثبات الحق الظاهر من المسلمين، وهذا هو الأصل في هذا الدين الحنيف الذي لا يستقيم أمره إلا بإتباع أحد مسالكه الأربعة كما سبق وذكرنا.

ومما يدلنا على أن الظهور لا يكون إلا للحق وفي الحق ما تذكره سير التاريخ عن الإمام عبدالله بن يحيى الكندي حيث جاء في هذا السياق: "لم تكن ثورة طالب الحق مجرد حركة طارئة في تاريخ الدعوة الإباضية أو انتفاضة قامت لأسباب عشائرية وإنما كانت مشروعا كبيرا تم التخطيط له بعناية واختير الوقت المناسب لقيامه"(١).

لذا لا يكون الظهور أمرا تعسفيا أو قيام ثورة لأسباب واهية لا يرجى من حصولها تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية والسعي في إفساد الأرض أو إقامة أحزاب تشتت شمل الجماعة المسلمة؛ بل يكون وفق ضوابط وأوقات تمت دراستها عن كثب وبعد نظر وتدقيق حاد، إذ لابد أن تكون إقامة هذه الإمامة لعدة أهداف وهي: "أن يقيموا دولة عادلة تسير على منهج الشرع الإسلامي فتنفذ أحكام الله وتقيم الحدود وتصون الحقوق وترد المظالم وتحفظ الثغور وتحمل دعوة الإسلام إلى بلاد الكفر"(٢).

المطلب الثاني: أدلة الظهور من عهد النبي والخلفاء:

إن المذهب الإباضي ما انفك عن الأخذ بالسيرة العطرة لصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام وممن خلفه بعد ذلك من الصحابة الكرام، فقد "دأب أصحابنا رحمهم الله على التمثيل لهذا المسلك بما كان عليه حال الأمة في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما"(٣)، فقد انتهجوا مسلك الظهور على مر الدهور والعصور بعد تيسير الله تعالى لهم، وذلك أخذا عن فعل

(١) الدولة في الفكر الإباضي، محمد صابر عرب، ط٢، ٢٠١٣م، دار الشروق مصر القاهرة، ص٩٨

(٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية، الشيخ علي يحيى معمر، ط٣، ٢٠١٤م/١٤٣٥هـ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ص٢٥٩

(٣) شرح غاية المراد، الشيخ الخليلي، ص١١٧

النبي ﷺ بعد ما ظهر في العهد المدني، وقد كان في حالة كتمان، وفي هذا يقول المولى ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، فقد أذن الله تعالى له "بعد إسلام عمر رضي الله عنه"(١) ومن ثم الظهور في العهد النبوي بعد هجرته ﷺ ، وفي ذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقوله لنبيه المرسل بالحق: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفتح: ٨].

فإرسال النبي ﷺ هو الأصل الذي أنزله الله تعالى على أمة محمد الذي جاء بالكتاب والهدي النبوي الشريف المطهر، فكان لزاما أن نعتقد ونقول بأن الله تعالى قواه وأعانه على أعداءه، وأظهره ومكنه من إيضاح وبث وبيان رسالته قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى. فلفظ الشاهد في الآيات الكريمات والمبشر والنذير والداعي إلى الله يكون في حالة ظهور، وكذلك الإرسال نستطيع أن نفهم منه أن الله تعالى يرسل جميع المرسلين للإدلاء بالرسالة وكشفها للناس وإظهار الحق للقوم المرسل إليهم؛ حتى لا يكون هناك عذر منهم، وفي ذلك يقول المولى ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥]، لذا قطع الله تعالى بظهور أنبيائه الكرام المتقين لمن أرسلوا إليهم لمن خالف المنهجية الحقة والفطرة التي فطر الله الناس عليها ولا تبديل لها، وكذلك هي الحالة التي أرسل الله بها نبيه وجعلها واجبة في حقه وأداها الرسول الكريم على أكمل وجه، فكانت منهجا للإباضية "فالإباضية كانوا يرون في إقامة دولة لهم على رأسهم الإمام هو تقليد لما كان عليه النبي ﷺ بعد أن هاجر إلى المدينة المنورة وأقام دولة بها وأمر بالجهاد"(٢)، فهم يأخذون بهذا المنهج أصالة ووجوبا؛ اقتداء بخير المرسلين وسيد

(١) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون جهلان، ص١٧٩

(٢)على الهامش: الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، د نايف عيد جابر السهيل، ط٢، مكتبة الاستقامة مسقط، ١٩٩٨م/١٤١٨هـ، ص٦٤

الأولين والآخرين والمشرع لهذا الدين إلى يوم الدين، "ولا ريب أن ما أسسه وبناه ﷺ من نظام ديني ليس نظاما وقتيا، بل هو شامل لكل الأطوار والعصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"(١)، ومن بعد الرسول ﷺ "ظهور أبي بكر وعمر يصليان الجمعة ويجلدان ويرجمان ويقطعان ويغزوان ويقيمان الثغور ويجمعان الزكوات والغنائم"(٢)، وهذا لا يخفى على أحد ممن اطلع على سيرة النبي الكريم وممن خلفه من الصالحين كأبي بكر الصديق الأمين الذي بقي مناضلا للدين ومتصديا لمن أراد أن يخرج عنه أو ينحرف عن جادته ويطبق ما تركه الرسول من تشريع ديني أو دنيوي أو سياسي فكان بالمرصاد لمن أراد أن يتخلف عن أداء الزكاة فظهر عليهم وحاربهم، وكذلك الفاروق ﷺ كان مماثلا لأبي بكر وحفظ الدين وساس الدنيا والرعية وحقق ما يتحقق في مسلك الظهور، فكانا رضي الله عنهما قدوة بعد النبي ﷺ للإباضية الكرام فقد غزيا، وأقاما حدود الله وشعائره وفتحت الأمصار واستقبلت وولت وجوهها شطر المسجد الحرام في خلافتهما فما كان هذا إلا أن يكون ظهورا وسلطة واضحة بينة في عصريهما. و على هذا تابع أهل الحق هذا المنهج السوي المستقيم "واستدلوا لها بسيرة الرسول ﷺ قبل الهجرة وبعدها"(٣) خلال القرون الطويلة التي عاشوا فيها حيث ما كانوا ووجدوا مشرقا ومغربا. وفي هذا يقول الإمام السالمي:

فيخلف المختار في أمته ... بالعدل والإحسان في سيرته
مثل أبي بكر ومثل عمرا ... ومن على سيرتهم قد انبرى
وللعمانيين والمغاربة ... وحضرموت أمراء غالبه
يشابهون العمرين عدلا ... وورعا وثقة وفضلا
مضوا على نهج الصواب فلهم ... حسن الثنا مع الرضا من

(١) شرح غاية المراد، الخليلي، ص١١٧

(٢) شرح عقيدة التوحيد، امحمد بن يوسف اطفيش، ص١٩٥

(٣) معجم مصطلحات الإباضية، ج١، ط١، ١٤٢٩/٢٠٠٨هـ، ص٤٨٨

(٤) جوهر النظام، الإمام نور الدين السالمي، ج٣، ط١٤، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، مكتبة الإمام نور الدين السالمي السيب الحيل الجنوبية، ص١٨٠

المطلب الثالث: أحكام الظهور وشروطه:

إن كل مسلك من المسالك لا يخلو من تنظيم للأحكام ولزوم للشروط التي يتسع معها تحقيق المقصد والدخول والانضواء تحت هذا الطريق، فالأحكام إنما تكون بعد تحقق الشروط، فإذا تحققت الشروط يصار إلى المسلك، ثم بعد ذلك تتاح الأحكام فتكون واجبة التطبيق فلذا كان للظهور أحكام يجب أن تطبق حتى لا يتعسف الإمام وتكون ضابطا وقيدا وواجبا لمن كان في إمامة الظهور، وشروط لزم من وجودها وجود الظهور ومن عدمها عدم الظهور، والحياد إلى ما بقي من طرق ومسالك حسب الحال والظرف والحكم المواتي والشروط المتحققة والموجودة.

و تسري على إمامة الظهور جميع الأحكام الشرعية التي فرضها الله تعالى على الناس وأمر بها من يسوس حكم الناس في الحالة الأصلية والاعتيادية عند نزول التشريع على المسلمين فيقيم الحدود ويأخذ الصدقات، "قال علماء السلف من أصحابنا إذا كان إمام المسلمين ظاهرا فأمر الصدقات إليه يبعث عماله إلى الأمصار في كل سنة من سني القمر فيجبون الزكاة من أغنياء الرعية الذين حماهم من الظلم وأجرى حدود الله فيهم وعليهم"[1]، وإمامة الظهور هي "الإمامة العظمى، التي تنفذ شرع الله، وتقيم العدل، وتحكم بالكتاب والسنة، لا يخضع فيها الوطن، وإنما الحاكمية فيه لله، والحاكم مسؤول أمام الأمة، لا يتميز على فرد فيها إلا بالمسؤولية التي يتحملها بالنيابة عن المسلمين"[2]، فحيث ما "ظهر أهل العدل لم يستطع أحد أن يعصي الله ويطيع الشيطان بين أظهرهم علانية، إلا إذا أخذوا على يده أخذا شديدا، ومنعوه من ذلك منعا، يكون نكالا له، وعظة لغيره. فهذه سيرة المسلمين إذا ظهروا. هكذا سيرة الظهور؛ لأن أهل الحق إذا ظهروا وهن الباطل، واستخفى أهله به. وذلك هو الظهور نفسه. وإنما معنى الظهور في نفسه ظهور العدل

(١) قواعد الإسلام، الإمام أبي الطاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، ج٢، ط٣، ١٩٩٥م/١٤١٦هـ، مكتبة الاستقامة، ص٥٣

(٢) الإمامة في الفقه الإسلامي، العبري، ص٤٨-٤٩

والحق وأهلهما. وحكمه هو الغالب"[١]، ففي الظهور تكون الدعوة جهرية "وفي الوقت ذاته يجتهد الإباضية في تبليغ الرسالة، والدعوة إلى الإسلام كلما سنحت الظروف لذلك"[٢]، وتطبق الحدود والفرائض "فتقام فيه حدود الله. . . وينصر فيه المظلوم ويغاث فيه الملهوف، ويقبض فيه على يد الظالم، ويؤطر فيه على الحق أطرا، كما تصان فيه أرض الإسلام وتحمى فيه بيضته"[٣]، وينكر المنكر، ويؤمر بالمعروف، ولا يسكت عن ظالم وترد المظالم لأهلها، ويقاتل أهل الشرك والكفر إذا خرجوا على المسلمين أو أحدثوا في دينهم ما يدفع لقتالهم فيظهروا عليهم كما ظهر عليهم النبي ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣]، ثم قال: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقد حارب النبي عليه الصلاة والسلام من كان مخالفا لدينه وقهر من اتبع غير سبيل المؤمنين. "وكانت محاربتهم لمن خالف الله ورسوله بالجنود والسلاح، وتشريدهم بالقتل واستباح حريمهم حتى يجيبوا الإفرار. هذا الظهور على المشركين. . . وكان ظهورهم على المقرين إدلالا لهم، وتوهينا لأمرهم. كي لا يظهروا خلاف ما أمر الله. قال الله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١] ".[٤] وتجب طاعة الإمام ولا يجوز مخالفته أو مخالفة أحكامه أو عصيانه، " ومن عصى الإمام فقد ركب كبيرة من الذنوب، ومن ترك معونة الإمام العدل، فمنزلته

(١) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٥٣

(٢) الفكر السياسي، عدون جهلان، ص١٨٠

(٣) شرح غاية المراد، العلامة الخليلي، ص١١٨

(٤) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٥٣

مع [ربما يقصد: معي] خسيسة. وأشد ذلك عندي، عند القدرة على معونته والضرورة من الإمام إليه"[1] ولا التهاون على حمايته والذود إلى صونه من الأذى ومن كل ضرر قد يحدق به أو يلحق به الأذى.

وكذلك أن ينصح بعضهم بعضا كما جاءت رسالة الإمام جابر في مبادرة تقديم النصيحة له حيث قال: "إلى عبدالله بن يحيى إذا خرجتم فلا تغلو ولا تعدوا، واقتدوا بأسلافكم الصالحين، واستنوا بسنتهم، فقد علمتم إنما أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم"[2]، ويعيش الجميع سواء دون قهر أو عنت تحت مظلة الوئام والمودة والإخاء الإسلامي، والأحكام إنما تكون في الأصل والمأمور به؛ "لأن الحدود لا تتم إلا معه من قطع يد سارق أو محارب أو رجليهما، وجلد البكر، ورجم المحصن لزانيين، والجلد أيضا في الخمر وما أشبهها، وكذا سائر الأحكام من أخذ الصدقة، وقتال المشرك أو الباغي أو المحارب، وأخذ الجزية من أهل الكتاب وأخذ أموال المشركين غنيمة وقسمة ذلك كما أمر الله تعالى وغير ذلك من الأحكام كما فعل بعد الرسول أبو بكر وعمر وعبدالله بن يحيى الكندي والجلندى ابن مسعود، والإمام الوارث بن كعب وغرق في سيل، وغسان بن عبدالله، وعبدالملك بن حميد، والمهنأ بن جيفر، والصلت بن مالك. . . "[3]. وكذلك عدم الخروج على الإمام العادل ما دام إماما شرعيا موحدا عادلا ملتزما بكتاب الله وسنة رسوله فتجب له الطاعة والخروج عنه أو عليه يعد فسقا. فالله تعالى أمر باتباعهم والانقياد تحت لوائهم والسير على خطواتهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، فتجب الطاعة للإمام أو من يلي أمور المسلمين ما دام ظهوره عليهم حق وصدق وعدل وقائم على القسط. "وقال ﷺ: أطيعوا ولاة أموركم ما أطاعوا الله فيكم، وقال لمعاذ بن جبل: ولا

(١) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس الشقصي، ج٥، ص١٣٨

(٢) نفحات من السير، فرحات الجعبيري، ص١٢، نقلا عن: كتاب مصباح الظلام للرقيشي، ورقة ٣٢أ

(٣) مقدمة التوحيد وشروحها، للعلامة أحمد بن سعيد الشماخي والعلامة داود بن ابراهيم التلاتي، مسقط، ص٦٩-٧٠

تعص إماما عادلا. وقل له: السمع والطاعة ولو كان حبشيا مجدعا. فبين رسول الله ﷺ أن لابد للأمة من قائم، تجري عليه أحكامهم، وتنتهي إليه آراؤهم، ويقيم كعبهم، ويجمع سعيهم، ويفزعون إليه عند النوازل، ويدفعون به كل باطل"[١]. ومن الأهمية بمكان أن يكون إمام الظهور قائما بين المسلمين لأنه "لا يجهز جيش، ولا تعقد راية، ولا يؤمن خائف، ولا يقام حد، ولا يحكم بحكم غير مجتمع عليه إلا بإمام وهي عند القدرة عليها والإمكان منها"[٢]. فلا تقام الأحكام والحدود إلا إذا ظهر إمام للمسلمين "اعلم أن الحدود لا يقيمها إلا الأئمة".[٣]

الشروط: يقول الإمام السالمي رحمه الله تعالى في جوهره في أول باب الإمام:

يلزم نصب قائم في الناس في أربعين رجلا أكياس[٤]

فيكون العدد أربعون هو أقل النصاب حتى يتحقق الظهور ويكون متاحا، وعند هذا العدد يتحقق شرط تنصيب إمام الظهور على جماعة المسلمين. يقول العلامة سعيد بن حمد الحارثي في باب الإمامة: "يجب على المسلمين نصب إمام إن وجدوا الاستطاعة لذلك. وحد الاستطاعة: أن يجتمع أربعون رجلا أشداء فرغوا من الشاغل لهم وذلك الشاغل هو: الرق والمرض وما أشبه ذلك من الموانع، وأن يوجد من بين الأربعين ستة من أهل العلم والورع والثقة والحزم. . . "[٥]، فهنا نلاحظ أنه ربط الاستطاعة والقدرة بالعدد، وحدد ذلك العدد بأربعين رجلا فصاعدا، وجاءت

(١) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس بن سعيد الشقصي، ج٥، ط١، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، مكتبة مسقط، ص١٢٨

(٢) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس الشقصي، ج٥، ص١٢٩

(٣) جامع أبي الحسن البسيوي، العلامة الشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسيوي، ج٤، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، ص٨٨

(٤) جوهر النظام، الإمام السالمي، ج٣، ص١٨٠

(٥) نتائج الأقوال نثر مدارج الكمال، العلامة سعيد بن حمد الحارثي، ج٢، ط٣، ٢٠١٤م/١٤٣٥هـ، مكتبة الضامري، ص٤٧٦

مسألة أيضا فيها دليل على القول بهذا النصاب وفيها "وكان أهل الإسلام من بعد النبي ﷺ يقاتلون ويظهرون بالعراق. وإذا بلغوا أربعين رجلا، أظهروا العدل، ودعوا إلى الحق، وخطبوا بالولاية والبراءة"(١)، وظهور العدل والدعوة إلى الحق لا يكونان إلا جهارا وظهارا، وكذلك الولاية والبراءة تكون شاهرة ظاهرة وهذا هو المعنى الحقيقي لمسلك الظهور، "فإذا توفرت شروط الإمام وجب النظر في شروط العاقدين له فقد اشترط بعضهم أن لا يكون أقل من أربعين رجلا"(٢)، وقد يكون هذا الرأي مأخوذا من ظهور النبي ﷺ بعد أن أصبح عددهم أربعين رجلا وذلك بدليل ما روي أنه عند إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه اكتمل النصاب – وهو أربعون رجلا – أشهروا وأعلنوا دعوتهم، وقد يكون قياسا على صلاة الجمعة إذ لا تكون إلا لأربعين رجلا فصاعدا مع وجود إمام عادل للمسلمين، فقيست الإمامة الصغرى في الصلاة بالإمامة الكبرى في الأمة وهي الظهور على عدد المصلين ووجود إمام لهم. وكذلك العدد جعل شرطا لمسلك الشراء حال ما قل عن نصاب الظهور "وإمام الظهور تجب عليه الأحكام إلى أن ينتقص عدده عن الأربعين، وهو حد الشراة للخروج لا ما دونه"(٣).

وقيل لا يلزم الظهور بأربعين رجلا؛ بل يكتفى بغلبة الظن على قدرة الظهور وتوفر القوة في جانب الحق، "سئل ابن محبوب عن الإظهار هل فيه وقت؟ قال: لا نعلم فيه وقتا، إلا أن يقوى على الناس، فيتبين لهم الحق وينسبه لهم. قيل: فإن الناس يقولون: أربعين رجلا. قال: ربما قدر الرجل في الأربعين. وربما لم يقدر في عشرة آلاف، وربما ينظر في تبليغ الحجة"(٤)، فهذا رأي لا يرى بلزوم العدد كشرط للظهور وتحقق وسيلته، إذ العدد يكون شرطا للكمال وليس شرطا

(١) المصنف، أبي بكر أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي، ج١٠، ص٥١

(٢) المسالك النقية إلى الشريعة الإسلامية، العلامة القاضي سالم بن حمد الحارثي، ص١٠٩

(٣) مقدمة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧٣

(٤) المصنف، ج١٠، ص٥١

للصحة، فجعل الأمر للقوة والكثرة والغلبة المتوقعة، ويترك الأمر لأهل التقدير والخبرة والمشـــورة، "فإن أنس الإباضية من أنفسهم قدرة حقيقة وكانوا نصف عدد مخالفيهم أعلنوا إمامة الظهـــور. . ذلك أن مرحلة الظهور هذه إن أحس قوادها بشيء من الضعف في إمكانهم أن يؤجلـــوا تطبيـــق بعض الأحكام حتى لا يعرضوا المؤسسة الأم إلى الخطر"(١)، وهنا أيضا توجد مســـاحة للنظـــر في تقدير متى يتم الظهور فكأنه لمح إلى أن يكون عدد المسلمين نصف عددهم مع وجـــود القـــدرة والنظرة إلى توافر مكامن القوة والغلبة بالنصر وهزيمتهم، "وأن يكونوا نصف عدوهم الذين يتقون شوكتهم وعندهم نصف ما عند عدوهم من السلاح والعتاد"(٢)، فهنا لم يحدد العدد بـــل جعلـــه نصف عدد العدو مضيفا ما معهم من السلاح والعتاد كالخيل أو ما يستعمل لعدة الحرب. وهذا ما يمكن أخذه من قول الله تعالى تخفيفا لعباده المسلمين بعد أن كان عدد الكفار يفوق عدد المسلمين بعشرة أضعاف، فكان الضعف هو سبب تخفيف المولى للمؤمنين حيث قـــال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فهنا إشـــارة إلى إمكانيـــة قتـــال المشركين حال الوصول إلى نصف عددهم وذلك لقوة المؤمنين التي مدهم الله تعالى بها، ولصبرهم الأكبر، ولنصرة الله وتوفيقه لهم بإذنه تعالى.

المطلب الرابع: نماذج من أئمة الظهور:

إن إمامة الظهور لم يسنح لها أن تظهر في أول الأمر بعد ما وقع ما وقع في القرن الأول؛ بل ظلت الدعوة خفية حتى جاء بعض الأئمة وأقاموا إمامة الظهور، "ومن أوائل الإمامات الظاهرة للإباضية، إمامة عبدالله بن يحيى الكندي طالب الحق بالمشرق (١٢٩هـــ/٧٤٦م)، وإمامة الجلندى

(١) التجربة السياسية عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ط١، ٢٠١٥م/١٤٣٦هـــ، ص٤٨-٤٩

(٢) المسالك النقية إلى الشريعة الإسلامية، العلامة الحارثي، ص١٠٩

بن مسعود (حكم١٣٢-١٣٤هـ/٧٤٩-٧٥١م)، وإمامة أبي الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري بالمغرب (حكم ١٤٠-١٤٤هـ/٧٥٧-٧٦١م)"[١].

فقد جاء تلميذ الإمام الكبير أبي عبيدة الإمام عبدالله بن يحيى الكندي الملقب بطالب الحق، فكان أول ظهور في تأريخ الإباضية في اليمن سنة ١٢٩هـ. "قال المصدر الذي أورد أحوال الإباضية: وكلما نعرفه عن الإباضية حتى الآن ظهورهم في حضرموت كقوة سياسية ذات شأن بدأ سنة ١٢٩هـ"[٢]، حيث ثار هو وقائده أبي حمزة المختار بن عوف حينما أرسله أبو عبيدة لمساعدة طالب الحق "ولم يصل أبو حمزة حضرموت إلا بعد أن أشار طالب الحق على أبي عبيدة بأن الوقت قد حان لإعلان الثورة، فسمح له أبو عبيدة بذلك، ثم أرسل إليه المعونة البشرية والمادية، يعني الرجال والمال من البصرة، لأن البصرة إذ ذاك تموج بنشاط الإباضية وعلى رأس الرجال أبو حمزة الشاري"[٣]، فثاروا على بني أمية لظلمهم وجورهم، "ولاشك أن أبا حمزة كان رجلا عاقلا دينا يغار على حرم الله إذا رآها تهتك، وسنته توطأ بالأقدام، وكل مؤمن يتأثر من مثل هذا الحال مهما كان"[٤]، فلم يسعه السكوت على ذلك والثمرة المجناة هي ظهور الحق والعدل ونشرهما في أرجاء اليمن فـ "ما كاد عبدالله بن يحيى يظهر أمره، ويدعو إلى عقيدته حتى أقبل الناس عليه وبايعوه بالإمامة، ولقبوه بطالب الحق، دون مقاومة من جانب الأمويين؛ حيث استولى على حضرموت، ثم امتد نفوذه على أنحاء اليمن، وكان حريصا على معاملة الناس بالحسنى، حتى المترددين في دخول دعوته؛ لذا أقبل عليه الناس من أنحاء اليمن"[٥] ولم يزعزع نفسه عن فعل الخير وكافح من أجله "وظل الإمام طالب الحق على سيرته تلك، فجمع قلوب الناس من حوله بما رأوه

(١) معجم مصطلحات الإباضية، ص٦٥٩

(٢) الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز، الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي، ١٩٨٠/١٤٠٠هـ، ص٤٣

(٣) الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز، سالم السيابي، ص٨١

(٤) الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز، سالم السيابي، ص١١٢

(٥) الدولة في الفكر الإباضي، د محمد صابر عرب، ص١٠٠

منه من عدالة اجتماعية إسلامية افتقدوها وحنوا إليها في ظل الحكم الأموي، ومن ذلك أن طالب الحق بعد أن استولى على صنعاء، وجد الإمام الأموال الكثيرة التي جباها العاهل الأموي من الناس وتكدست في خزينته، وكان طالب الحق وأصحابه في فقر مدقع وهم بحاجة ملحة إلى المال، ولكن لم تشرئب أعناقهم إلى هذه الأموال، بل قسموها بين أهل صنعاء و لم يأخذوا منها شيئا"[1]، وفي هذا يقول الإمام السالمي:

وطالب الحق بصنعا حكما ... بجعله في أهلها واحتشما
لم يأخذن عن مضيق يومه ... شيئا لنفسه ولا لقومه
تعففا منهم ومن كمثلهم ... أكرم بهم من عصمة أكرم بهم
كانوا يموتون على ما أبصروا ... من الهدى ما بدلوا و غيروا[2]

إن النخوة الإيمانية التي تتربى في نفس كل مؤمن غيور على دينه؛ هي التي حركت المشاعر القدسية الدينية في قلب ذاك المؤمن الإباضي الطاهر طالب الحق الذي ما انفك عن الحق ولا لبرهة في السير حثيثا لصرع الباطل وإقامة الشرع الذي أنزله الله تعالى على خير من أقامه سيد المسودين والعامل بالنهج الصحيح من بداية الدعوة بالكتمان وحتى ظهور الإسلام، وتمكنه في الوصول مشرقا ومغربا شمالا وجنوبا بعد أن كان لا يسمع أطيطا ولا همسا، وهذا كله بفضل التخطيط العميق الذي ألهمه الله تعالى نبيه، ومن هنا كان حذو الإباضية بسيدهم ونبيهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بنفس الطريقة التي أصبحت منهجا لهم.

فقد قام طالب الحق ضد من عادى للدين أو أنكر معلوما منه بالضرورة، و لم يقر منكرا؛ بل وقف مع الحق وللحق، "فلا غرابة في أن يصل عبدالله بن يحيى وهو من هو إلى أن يكون قاضيا في حضرموت لعامل عم الحجاج القاسم بن عمر الثقفي على حضرموت وهو إبراهيم بن جبلة و لم

(١) الباب لمعرفة تاريخ الأصحاب، زاهر بن سعود السيابي، ط٢، ٢٠١٣م/١٤٢٤هـ، ص٨٤
(٢) جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، الإمام السالمي، ج٢، ص٤٨٤

يكن قبوله لهذه الخطة من أجل الإثراء ومؤازرة الثقفيين في ظلم قرابته وذويه وبني بلده، وإنما هو التخطيط المحكم للمستقبل لتخليص البلاد من كل عسف واستبداد"[1]، فقام أولا بالنصح والإرشاد والخطب تذكيرا بالله وعذابه ترغيبا لرضوانه وثوابه، ثم زجرا ووعيدا بأن حق الله أولى وأقدم من حق ممن يدعي الإسلام أو يظهره ولا يطبق تعاليمه وحدوده أو يخالف ما تركه النبي الكريم، وكان لا يرمي إلا بعد ما يبدأ الطرف المخالف وهذا ما تشهده كتب التاريخ وسير الأتقياء.

إن الحق الذي سار له طالب الحق فداء نفسه هو ومن معه من الأبطال؛ لدليل بين على أنه حق لله وشهادة لأجل الله، وذلك أن من يرى الحق ويتبعه ولا يلقي بالا لروحه ويتركها رخيصة لدين الله؛ لهو قطعي الصلة بالمراد تحقيقه، لأن أهل الضلال هم من أكثر الناس تعلقا وتمسكا بالحياة مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦]، فهي في أعينهم كتر لا يفنى، وحياة لا تبلى، وأنها المتاع الدائم، خلافا للمؤمن الذي يشري نفسه ابتغاء مرضات الله واصلاحا للفساد، والنهي عن المنكر، كما كان أصحابنا رضوان الله تعالى عليهم.

إن طالب الحق بعد ما رأى الجور والتعسف وسيرة الحكام والمحكومين قبيحة؛ قال لأصحابه ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه، وقد كان من تلاميذ الإمام الكبير أبو عبيدة فكتب إلى شيخه يطلب الإذن فشاور أصحابه في الخروج فكتبوا إليه: "إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك؟ ولله خيرة

(١) نفحات من السير، فرحات الجعبيري، ج٣-٤، ص٧

من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويختص بالشهادة منهم من يشاء"[١]، و لم يكتف طالب الحق بالظهور حيث كان المقام في اليمن، فقد "أظهر الحق والعدل بأرض اليمن، وشمل حكمه أرض الحجاز، ووصلت خيله إلى وادي القرى"[٢]، وامتد ليملأ العدل في أرض الحجاز، وفي مقر النبوة الذي دنسه الجورة وطمسوا الحق الذي أنزل الله وطبقه سيد المرسلين وليس ذلك فحسب؛ بل "حتى في الشام معقل الأمويين ومركز قوتهم وعسفهم، وتلك كانت الخطة فعلا"[٣]، فما كان منه إلا أن دخلت الغيرة في نفسه على ما يقع لإخوانه المسلمين، وإن كانوا خارج المصر الذي كان هو فيه، فلم يطق أن يعم العدل في موطنه – اليمن- فحسب، بل قرر في نفسه أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ لأن حركة طالب الحق وأبي حمزة الشاري "من حيث المبدأ حركة عالمية وليست إقليمية لا تهتم إلا بتحرير اليمن، كيف وهدفها الأسمى إعادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة موازين القسط بين الناس، ورفع كابوس الظلم الذي جثم على صدر الأمة"[٤]، فكانت تشمل كل من كانوا من المسلمين المضطهدين الذين يعيشون تحت لواء الإسلام ورايته، "إنها دعوة إسلامية عامة ترمي إلى محاربة الجور فإما تحقيق الإمامة العظمى التي توحد العالم الإسلامي وإما الشهادة في سبيل الله"[٥] وبذلك فقد ولى عهد الكتمان والسرية والتخفي وبانت الإمامة العادلة فلزم أن تشمل وتعم وتنتشر وتنشر في كل مكان.

"نتيجة للجهود التي بذلها الإباضية في عمان والتي أدت إلى اعتناق قسم كبير لا يستهان به من أهلها للدعوة الإباضية، توفرت الشروط اللازمة والظروف المناسبة في عام ١٣٢هـ/٧٤٨م

(١)كتاب الأغاني، أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، ت: د إحسان عباس، د إبراهيم السعافين، بكر عباس،ط١، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ، دار صادر بيروت لبنان، ص١٩١

(٢) شرح غاية المراد، سماحة الشيخ الخليلي، ص١٢١

(٣) نفحات من السير، فرحات الجعبيري، ج٣-٤، ص١٦-١٧

(٤) الاستبداد مظاهره ومواجهته، سماحة الشيخ العلامة أحمد الخليلي، ط١، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ، ص١٤٤

(٥) شخصيات إباضية، د فرحات بن علي الجعبيري، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣١ه، مكتبة الضامري السيب سلطنة عمان، ص٤٦

لإقامة إمامة إباضية حاكمة، تسمى بإمامة الظهور في اصطلاح العلماء الإباضية، وتعتبر هذه الحركة المحاولة الثانية للدعوة الإباضية في المشرق العربي، بعد فشل محاولتهم الأولى في اليمن وحضرموت بإقامة دولة إباضية فيها عام ١٢٩هـ/٧٤٦هـ"[١]، ومن نماذج الأئمة في الظهور الإمام الجلندى بن مسعود "الذي بويع بعمان، فصال على الباطل صولة الليث الهصور، وبذل نفسه ونفيسه في طاعة الله ونصرة دينه، إلى أن فاضت روحه في سبيل الله"[٢]، والذي يعد أول إمام ظهور في دولة عمان في عام ١٣٢هـ حيث أنهم "عقدوا الإمامة للجلندى بن مسعود فكانت سببا لظهور الإسلام وقوة شوكته، وكان عدلا مرضيا، وكان الجلندى ممن حضر بيعة عبدالله بن يحيى طالب الحق"[٣]، "والإمام الجلندى هو أول من أرسى دعائم دولة الإمامة في عمان، وسار بالدولة سيرة إسلامية عادلة ونزيهة اتعبت من جاء بعده، إلا من وفقه الله، ولذلك كان الإمام السالمي لا يعدل به أحدا من أئمة العدل والفضل والتقوى، عندما ذكر بعض العلماء تفضيلهم الإمام سعيد بن عبدالله الرحيلي على الإمام الجلندى حيث قال: "قلت لا أعدل بالجلندى إماما في عمان، فإنه قد جمع الصفات الثلاث العلم والعدل والشهادة مع ما جمع الله له من الصفات التي لا تكاد توجد في غيره"[٤]، وهذه شهادة لها من القوة ما لها، "وتفضيل الإمام السالمي رحمه الله أوجه، فإن الجلندى جمع الصفات التي اجتمعت في الإمام سعيد بن عبدالله الرحيلي، وهي العلم والعدل والشهادة، وفاق الجلندى رحمه الله على غيره بالسبق، وللسابق فضله كما أشار إلى ذلك القرآن، ولأن الجلندى تسلسل من ملوك أجلاء ولم تأخذ به سورة الملك عن خطة إخوانه، ولم يعتز بغير الحق، ولم ير إعطاء الدنية في دينه مع إمكانه. . . وضحى بنفسه في سبيل إرضاء ربه ﷻ،

(١) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ط١، ١٩٨١م/١٤٠١هـ، دار الاتحاد العربي، ص١٧٧-١٧٨

(٢) شرح غاية المراد، الخليلي، ص١٢٢

(٣) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، الإمام نور الدين السالمي، ج١، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ، مكتبة الإستقامة، ص٨٥

(٤) الوسيط في التاريخ العماني، أحمد بن سعود السيابي، ط٢، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ، مكتبة الضامري، ص٣٧ انظر: تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص٢٧٦

وإكراما لدينه ومذهبه لا يرى الخصم منه هوادة في شيء ما رحمه الله ورضي عنه"[١]، إذ الإمام السالمي متتبعا للسيرة عارفا بها، إضافة لذلك أنه يمتلك الحنكة السياسية وذلك واضح خلال الفترة التي عاش فيها، والأثر الذي خلفه في حكم الإمامة آنذاك، فحري أن يصف الجلندى بما وصف، ويعتبر إمامته قد بلغت عنان السماء لما لها من خير كثير عند إقامتها وظهورها في عمان، ويضيف السيابي على الهامش بعد ذكر الشهادة للإمام الجلندى قوله: "والرابعة هي كونه أول إمام بعمان وحقه أن يطلق عليه مؤسس دولة الإمامة في عمان"[٢]، فكان الإمام الجلندى أول من أظهر الإمامة في عمان في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري؛ حيث نقل مركز الدعوة إلى موطن الأزد موطن الإمام جابر بعد ما سقطت دولة الإمامة في اليمن، وهو أحد طلبة الإمام الكبير أبا عبيدة، وكان ممن شارك طالب الحق في إنجاح ظهوره في اليمن، "وتشير الروايات إلى أن بعض قادة الإباضية في عمان حضروا بيعة الإمام طالب الحق وعلى رأسهم الإمام الجلندى بن مسعود الذي اختير فيما بعد ليكون أول إمام ظهر في عمان"[٣]، فكان النواة الأولى لتهيئة الفرصة لمن جاء بعده وانتهج نفس الطريق الذي سلكه الجلندى "، فسار الجلندى بن مسعود رحمه الله في عمان فأظهر الحق وعمل به، وأخذ الدولة من يد أهل الجور، وبرئ من الجبابرة وأشياعهم، ودان بقتال أهل البغي، و لم يستحل مع ذلك غنيمة، ولا سبى ذرية، ولا استعراضا بالقتل من غير دعوة"[٤] ، وهذي هي الثمرة المحصودة؛ وإن كانت الإمامة لم يكتب لها الدوام، "وكانت إمامة الجلندى سنتين وشهرا، وقيل وأشهرا"[٥] وذلك بعد أن انتهت عام ١٣٤هـ، "وذكر ابن الأثير في كامله قتل الجلندى

(١) عمان عبر التاريخ، الشيخ سالم بن حمود السيابي، ج٢، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ، وزارة التراث القومي والثقافة، ص٥٦-٥٧.

(٢) على الهامش، الوسيط في التاريخ العماني، السيابي، ص٣٧

(٣) نشأة الحركة الإباضية، د. عوض خليفات، ط١، ١٤٢٣/٢٠٠٢هـ، وزارة التراث والثقافة ص١٣٠

(٤) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص٨٥-٨٦

(٥) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص٩٤

وأصحابه رحمهم الله في حوادث سنة أربع وثلاثين ومائة، وهذا أقرب إلى صواب التاريخ"[١]، وهي فترة وإن كانت قليلة وقصيرة، "فتلك السنتان اللتان عاشهما الجلندى كانتا الأساس الذي مشى عليه أهل عمان في تقرير حياتهم الدينية"[٢]، فقد كانت بداية للشرارة ومفتاح لباب الإمامة لمن خلفه بعد ذلك من أئمة عمان الفضال، "وبهذا أضاف قوة سياسية جديدة للحركة الإباضية لأنه يمثل واجهة اجتماعية ذات تأثير كبير على قطاع واسع من القبائل الأزدية باعتباره حفيد الملوك السابقين لعمان من بني الجلندى وهذا بلا شك عامل مهم مساعد في رواج المذهب الإباضي بعمان والذي أصبح مذهبا رسميا في ظروف سيادة الإمامة الإباضية في فترة الظهور"[٣].

ودامت الإمامة معدمة بعد مقتل أول إمامة ظهور في عمان وشاغرة؛ حتى جاء الإمام الرضي الشهيد الوراث بن كعب الخروصي سنة ١٧٩هـ الذي أصبح ثاني إمام ظهور بعد الجلندى، "فوطئ وارث أثر السلف الصالح من المسلمين، وسار في عمان بالحق، وظهرت دعوة المسلمين بعمان وعز الإسلام وخمد الكفر-المراد كفر النعمة وهو الكفر العملي لا الكفر الذي هو الشرك- وقال أبو الحسن: بايعوا الوارث على ما بويع عليه أئمة العدل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشرى في سبيل الله، وإظهار الحق وإخماد الباطل، والجهاد في سبيل الله، وقتال الفئة الباغية، وكل فرقة امتنعت من الحق حتى تفئ إلى أمر الله لا يستحلون غنيمة مال ولا سبى عيال، وانتحال هجرة بعد النبي ﷺ، ولا يسموا بالشرك أهل القبلة ما بينوا الشهادتين. قال: فقام وارث بالحق ما شاء الله، والمسلمون عنه راضون، وله مؤازرون، وعليه مجتمعون، ولمن امتنع من طاعته مفارقون"[٤].

---

(١) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص٩٥

(٢) عمان عبر التاريخ، السيابي، ص٥٧

(٣) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص١٨٠

(٤) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١١٢-١١٣

فبعد أن تدنست أرض عمان بالجبابرة، ما كان للمسلمين إلا أن يرفعوا جورهم ويظهروا عليهم فكان الإمام الوراث هو فاتحة الخير للظهور، "وتتميز هذه المرحلة من إمامة الظهور ودولتها في عمان(١١٧٧هـ/٧٩٤م) بأنها لم تكن تجسيدا فقط للفقه الإباضي وفكره السياسي في الحكم، إنما غدت هذه الإمامة الإباضية أيضا ودولتها في عمان حجر الزاوية ومركز الثقل السياسي والحضاري للمذهب الإباضي ودعاته في سائر أرجاء الدولة الإسلامية، في وقت زالت فيه جميع الدول الأخرى التي أسستها أئمة الظهور الإباضية سواء في حضرموت واليمن أم في بلاد المغرب العربي. وبدأت مقدمات هذا المركز الجديد للإباضية في عمان، ونشاطها في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري"[١]، وقد أيد الله تعالى الوارث بذلك حيث يروى أنه "كان يرى الرؤيا في نومه تدل على ظهور الحق على يده، وأنه كان ذات يوم يحرث في زرع له فسمع صوتا يقول له اترك حرثك وسر إلى نزوى وأقم بها الحق، ثم ناداه ثانية وثالثة بذلك"[٢].

فذهب الإمام الوراث إلى نزوى حيث كانت في أيدي الجور والبطش والظلم؛ فأيده الله تعالى ونصره على عدوه فأصبح من الظاهرين، وذلك بعد ما اختاره المسلمون وبايعوه إماما لهم فعم الأمن والازدهار، و"يعتبر عهد هذا الإمام من أبهى عهود الإمامة إذ ساد الاستقرار في عمان ولم يحدث ما يعكر صفو الأمن في جميع أنحاء الإمامة، كما امتدحه المؤرخون لحسن سيرته"[٣]، وعم العدل والصفاء والرضى سائر المسلمين حيث سار بهم سيرة حسنة حتى توفاه الله تعالى غريقا وهو يحاول أن يفك قيد الأسرى الذين كانوا بقرابة الوادي والذي كان الوادي سيلحق الأذى بحياتهم فحينما أمر بفكهم لم يجرؤ أحد على فعل ذلك "فقال الإمام: أنا أمضي إذ هم أمانتي وأنا المسئول عنهم يوم القيامة، فمضى إليهم واتبعه ناس من أصحابه، فمر بهم الوادي فحملهم مع

(١) الإباضية في الخليج العربي، نايف السهيل، ص٦٥

(٢) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١١٣

(٣) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٢١٣

المحبوسين"[1] فرضي الله عن تلكم النفوس الزكية الطاهرة الشريفة التي ما حالت لها الحياة عن فعل الخير وعن أمانة المسؤولية والإنسانية الحقة والخوف من الله تعالى من السؤال أو التكليف. وكان ذلك في سنة ١٩٢هـ بعد إمامة دامت لأكثر من اثنتي عشرة سنة.[2]

ثم بعد ذلك قدموا الإمام غسان بن عبدالله اليحمدي وبايعوه على الإمامة سنة ١٩٢هـ ، "قال أبو الحسن: بايعه المسلمون على ما بويع عليه الوراث بن كعب، فقام بالحق وعمل به، وعز الحق في أيامه، وظهرت دعوة المسلمين بعمان"[3]، وكان مما يبرز إمامة ظهور الإمام غسان أنه أول من اتخذ الشذاة- اسطولا بحريا- للغزو وحماية المسلمين من القراصنة وذلك بعد أن "كان البوارج –وهم كفار الهند- يقعدون بأطراف عمان، ويسلبون منها ويسبون ويمضون إلى ناحية فارس والعراق، فكانوا فيما بلغنا ربما يسيرون بناحية دبا وجلفار. . . وأمن الله الناس من البوارج بهذه الشذاءات"[4]، فقد كان رحمه الله حاميا لدولته، فقد "أظهر الإمام غسان بن عبدالله القدرة على السيطرة على عمان من الناحية الداخلية فوطد الأمن وأشاع العدل، وبلغت الإمامة الإباضية قمة ازدهارها وقوتها في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)"[5] وحاميا لدينه مطبقا حدوده، فقد "قيل إنه لم يَقطع بعمان يد سارق، إلا غسان بن عبدالله، فإنه قطع يد سارق واحدة بصحار، بعد أن وجب عليه القطع"[6] وكان رحمه الله يعاقب من أحدث في المسلمين ريبة أو اعتداء، فيذكر أن امرأة مضت في الليل فمرت على دار بها عقود فكانت مظلمة ويقعد فيها أهل الريبة فاعترض لها طريقها رجل من الفساق وبلغ ذلك الإمام فأرسل إلى أصحاب الدار وأمرهم أن يهدموا العقود

(١) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١١٨

(٢) انظر: تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١١٨و١١٩

(٣) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٢٠

(٤) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٢١

(٥) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٢٣٢

(٦) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٢٥

وحكم عليهم بذلك أو يجعلوا سراجا في العقود حتى يرى من يقعد فيها من أهل الريبة، وفي هذا "قال أبو الحواري: ولو أن أهل الدار لم يفعلوا ذلك، و لم يسرجوا في العقود على ما أمرهم الإمام، فلعله كان يهدم الدار، وهو وجه من الحق والعدل إن شاء الله تعالى، قال: فهذا غسان قد أمر بهدم الدار لدفع هذه المفسدة، فكيف ولو كان فيها أحد من البغاة لكان أعظم ذنبا وأشد عقوبة"[1]، فهو لا يخاف في الله لومة لائم وكان حريص على صون حريم المسلمين وحفظ حقوقهم وزرع الأمن والاستقرار في دولته وقصم كل من يتعدى على حرمة المسلمين أو ينتهك الأعراض. وكان ﷺ يعاقب ويحبس من كان سببا في أذية غيره حتى لو لم يكن هو الفاعل فمن "أحكامه ﷺ حبس صقر بن محمد بن زائدة، بتهمة اتهمه بها هاشم بن الجلندى في جراح أصابه-أنه أمر به-"[2] مع أن سليمان بن عثمان كان لا يرى بالحبس، وأنكر ذلك على الإمام لأنه لم يتهمه أنه جرحه وإنما أمر من جرحه وعليه اليمين لا الحبس؛ ولكن الإمام في اجتهاده ونظره كان يرى بحسبه وهذا من باب السياسة الشرعية، وهو أن يرى الإمام المصلحة العامة فيقدمها حتى لا يتخذ البعض هذه ذريعة للوصول لمثل هذه الأفعال والإمام إذا رأى مصلحة قدمها وأعرض عن غيرها ما دامت تقضي بالعدل وتفضي إلى ضبط سلوك الناس.

ثم شاءت الأقدار كما هو معهود في سنة الحياة والخلق أن يلقى الإمام المفضال ربه بعد إمامة دامت أكثر من خمس عشرة سنة وذلك في سنة ٢٠٧هـ، فرحم الله نفسا باتت تحرص في سبيل الله وذهبت إلى جوار خالقها في رضى منه ورضى من الخلق.

(١) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٢٥

(٢) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٢٧

ثم بويع الإمام عبدالملك بن حميد سنة ٢٠٧هـ إماما على عمان، "فسار سيرة الحق والعدل، واتبع الأثر السلف الصالح، وصارت عمان يومئذ خير دار"[١]، فقد بويع الإمام على ما بويع عليه من كان قبله – أي الإمام غسان– وقد أحسن السيرة وسار بالناس خير سير، وكان يأخذ بالشورى بين المسلمين عامة وبين العلماء خاصة، فعندما وقع قتل الخطأ في بلدة نخل شاور الإمام في ذلك "قال: موسى بن علي: أشار علينا الإمام عبدالملك في رجل أقر أنه قتل رجلا وجده في سرير، واحتج أنه أخطأ و لم يتعمد إلى الذي قتل، قال: فأمسكت أنا عن ذلك حتى رأيت في كتاب، أن القول قول القاتل، وأما بعضهم فلم يروا له ذلك"[٢]، وهذه من مناقب أهل الحق فهم وإن كانوا على علم ودراية ولكن يأخذون برأي من لهم العلم وهذا إن دلّ؛ دلّ على سماحتهم وعظيم تواضعهم، فهم يرون بأنهم أقل علما ممن يتوجهون لهم بالمسألة أو السؤال وهذا لا يكاد تراه في غير المذهب الإباضي، فما دام أن الإمامة تكون شورى وانتخاب وهي الأساس فمن باب أولى أن يحرس الإمام على استشارة أهل العلم الذين هم حوله في ما يشكل أو يقع. وكذلك في حادثة اقتتال اليهوديين وقول أحد منهم الشهادة ثم إنكاره لها وعدم إقراره بها، فبعد أن أرسل إلى الإمام عبدالملك كتابا فيه هذه الواقعة أراد الإمام تداول هذه المسألة، "فجمع عبدالملك ابن حميد الأشياخ، فأرادوا أن يجيبوا فيه جوابا، كأنهم يرون ذلك يلزمه، ثم كتبوا إلى موسى بن علي رحمه الله، فكتب أن يشد على اليهودي ويهدد بالقتل، فإن أسلم قبل منه وإلا فلا قتل عليه، وقال أبو عبدالله إنما يلزمه القتل لأنه لم يقر بجملة الإسلام، لأن القول الذي يلزمه فيه الإسلام، ويجب عليه القتل في تركه. . . "[٣].

(١) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٣٢
(٢)تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٣٤
(٣) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٣٥

فمن خلال تتبع سيرة الأئمة الكرام، نجد وضوح كبير في الاتصال بين الإمام والعلماء، وأخذ المشورة منهم، وعدم التعسف في الحق دون الرجوع إليهم، والتمهل في عدم التسرع في الحكم وتداول القضايا التي تكون محل اجتهاد، وهذا إنما يدل على رزانة الإمام وعدله وخوفه من الله تعالى في أن يحكم متعجلا مما يحتمل الخطأ، وكذلك النصوص التي وردت من العلماء فيها نصائح للإمام ويأخذها بصدر رحب وقبول مستعد، منها قولهم: "نوصيك بتقوى الله وطاعته، والقيام لله بسبيل ما جعلك لسبيله من دينه، المطوقة حقوقه التي أوجبها بميثاق وتؤكد، وأحسن رعاية ذلك بالجهد، واعمل فيه بالتشمير والجد. . . اعلم رحمك الله أنك قد علمت ببيان الله الذي بينه لك ولنا في عهده الذي عهده إليك وإلينا إلى الدعوة التي دعت، والشريعة التي شرعت للجهاد في سبيل الله حتى يكون دين الله هو الظاهر على كل دين. . . وليس الذي أمرناك بالنظر فيه من إصلاح الأمر ووضعه موضعه الذي لا يصلح إلا به، جهالة منا لفضل الجهاد، ولا لما وعد الله عليه، ولا تثبيطا عن الانبعاث في سبيل الله. . . ولكن علمنا أن ما مر له منتهى وأنه قد جاء من الله فيه أمر وبيان. . . والنصيحة لك، وذلك أنا وإياك على دين وجبت فيه الحقوق علينا وعليك بحقوق مؤداة، والحق علينا لك محض النصيحة في كل أمر، وإن خالف الهوى والحق فعليك قبول ذلك، وقد علمت أن منتهى أصل الدين ترك النصائح، والتولي عنها البراءة والفراق. . . ا. هـ"[1]. ولا يسع المقام لسرد جميع ما ذكر في تأريخ الإمام والتفاصيل المدونة في سيرته، ولكن نرى من الحق علينا أن نذكر الخصال الحميدة التي اتصف بها أئمتنا المرضيين وكيف وصل بهم الزهد والمقام إلى ما وصلوا إليه وقد كانت دولتهم في أوج قوتها وسلطتها، فلم تستبد ولم تظلم ولم تتعسف في تأدية الحق أو استعماله، وهذا هو سر ثبات ظهور أئمة عمان؛ حيث كان التواصل لا يمنع منه أحد، وكان الإمام يصل إليه من أراد، وكان يتلقى النصح والتوجيه والإرشاد من جميع المسلمين دون تعنت أو غضب، كما سبق ورأينا في الكتب التي يتلقاها وما تتضمنه من نصائح له،

(١) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٣٨-١٣٩-١٤١

ومن أراد الاستزادة فلينظر إلى كتاب تحفة الأعيان للإمام السالمي في ذكر نصائح العلماء للإمام عبدالملك[1] يجد مراده إن شاء الله.

بعد وفاة الإمام عبدالملك رحمه الله بايع المسلمون –في نفس ليلة وفاة عبدالملك- المهنأ بن جيفر سنة ٢٢٦هـ، فقد "بايعه موسى بن علي رحمه الله عن مشورة المسلمين على طاعة الله وطاعة رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فوطأ آثار المسلمين وسار سيرتهم. قال أبو الحسن: قام المهنأ بالحق ما شاء الله إلى أن مات والمسلمون له مجمعون، وبأمره يعملون، والولاة في أيامه هم الصادقون لم نعلم أن أحدا أظهر عليه منكرا"[2]، فصال في الحق صولة، وجعل للدولة هيبة، وتحسنت الأحوال في زمانه وكثرت الرعايا، "واجتمعت له من القوة البرية والبرية ما شاء الله، قيل أنه اجتمع له في البحر ثلاثمائة مركب مهيأة لحرب العدو، وكان عنده بتروى سبعمائة ناقة وستمائة فرس تركب عند أول صارخ. . . وكانت عساكره بتروى عشرة آلاف مقاتل وهؤلاء بتروى خاصة، فكيف بعساكر غيرها"[3]، فقد كان الإمام المهنأ "أعظم إمام بعمان فاتسع ملكه إلى أطراف الجزيرة فأسس أسطولا عظيما كانت له السيادة على بحر العرب والفوق في كل ناحية بلغ ثلاثمئة قطعة حربية وأعد الجنود بأصنافها من مشاة وفرسان وهجانة؛ حتى كانت حامية العاصمة تتألف من ثمانية آلف أو تسعة آلاف مطية وستمائة فارس هذه الحامية فما بالك بعموم الجيش وقد أوتي جلال الإمامة والمهابة والحرص على التفوق برا وبحرا، وضرب على يد كل عابث وأعطى للملك حقه من صيانة وعدل ونظام حتى أصبحت دولة عمان يومئذ تخشى بأسها الممالك المحيطة بها.

---

(١) انظر: تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٣٨ إلى ص١٤٧

(٢) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٤٨

(٣) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٤٨

امتاز هذا الامام بشدة الصولة والغيرة على الإمامة أن تمتد إليها يد، سوء فقطع دابر أولئك الأقطاعيين الذين إذا فقدوا أطماعهم؛ هدموا الدولة وأوجدوا الفوضى في الأمة وفقدان الأمن، وكان مع ذلك لين العريكة لعظماء الأمة من علماء عاملين وأمراء ناصرين وأعيان واختار للدولة رجالا من خيار الأمة يقدرون أمانة الإمامة في أعناقهم"[1]، فكان ظهور الإمام المهنأ ومتابعته للمهمة على من كان قبله من أئمة؛ جعل دولة الإباضية في عمان قوة لا تبارى وأنفذ سلطان الحق والعدل، ففي زمانه امتنع حولين عن الزكاة رجل "يقال له وسيم بن جعفر، وقد وجبت عليه فريضتان فامتنع إلا أن يعطي فريضة واحدة، فقال: إن شئت أن تأخذ فريضة واحدة وإلا فانظر إلى قبور أصحابكم"[2]، فما كان من الإمام إلا أن أرسل في طلبه والقبض عليه حتى احضر إلى مقر الإمامة في نزوى، وأخذ فريضة الله التي فرضها عليهم، وهذا كما فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. أيضا طبق الحدود والتعزيز فـــ"في زمانه طعن رجل رجلا فأمر به فجلد تسعين سوطا وقال: تسفك دماء المسلمين على بابي. . . ذكر أبو المؤثر: إن الإمام الصلت ضرب عبدالله بن نضر خمسين سوطا، قال: ولا نعلم أن أحدا من المسلمين عاب عليه"[3]، وكذلك عندما أرسل الصقر بن عزان لقتال بني الجلندى ومن سار معهم من أهل الفتنة بعد أن قتلوا والي الإمام في توام، "فسار أبو مروان بمن عنده من الناس، وسار معهم المطار الهندي ومن معه من الهند، وبلغ الجيش فيما قيل اثنا عشر ألفا، فقتل من قتل من البغاة وهزم الله جمعهم، وهرب منهم من هرب وفرق الله شملهم"[4]، ولكن لابد لأي حرب أن تقع أن يكون فيها خسائر، فقد أحرقت كثير من دورهم، ولكن الإمام العادل لم يكن غافلا عن ذلك، فأرسل رجلين إلى توام إلى القوم الذي اضرمت النار

(١) من الهامش: عقيدة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧١

(٢) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٥٠

(٣) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٥١

(٤) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٥٢

دورهم واحترقت منازلهم، فدعوهم إلى الإنصاف ليعطوهم ما وجب لهم من الحق[1]، وأقام الإمام فيهم حتى توفاه الله تعالى، فترك وراءه سيرة نبلى، وعمل مرتضى، بعد إمامة عظمى دامت عشر سنين في يوم الجمعة سنة ٢٣٧هـ.

ثم تولى زمام الإمامة الإمام المخضرم الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي سنة ٢٣٧هـ، "وقد ساس المملكة بالعلم والحكمة والعدل وحسن النظام بلغت مدة ولايته خمسا وثلاثين سنة حارب الحبشة وهزمهم واسترد منهم جزيرة سقطرى وجهز الجيوش الجرارة وأقام منار الإسلام في كل مكان بلغت إليه سلطته"[2]، فحينما خان النصارى العهد ونقضوه على المسلمين وهجموا على سقطرى فقتلوا من قتلوا وسلبوا ونهبوا وانتهكوا الحرم وفحشوا بالمسلمين أيما فحش وتبذلوا في دولة المسلمين؛ استغاثت امرأة يقال لها الزهراء بالإمام الصلت، وكتبت له أبياتا تستصرخه، وتستنقذه – وهي بذلك مصيبة شخصه- فما كان منه إلا أن أنجدها وأرسل جيوشا عظيمة، هبت لنصرة الإسلام بحرا "فساروا إليهم، ونصرهم الله عليهم، فأخذوا البلاد وهزموا الأعداء، ورجعوا ظافرين مستبشرين، ومن ينصر الله ينصره الله"[3]، ووقعت واقعة في رجل من أهل بسيا "اتهم بقتل رجل فسجنه الإمام على التهمة فطال حبسه، فأقر بالقتل، ولكنه ادعى أنه قصد غيره فأخطأ فيه، فشاور الإمام في عصره من حضر من علماء المسلمين"[4]، فطبق الإمامة العقوبة التي يتناسب معها الفعل، فالأصل أن القاتل يُقتل ولكن لم تكن هنالك أي بينة؛ بل كانت تهمة، فحبسه الإمام حتى إذا أقر أنه قتل قاصدا غير المقتول، ومع ذلك شاور الإمام العلماء فمنهم من يرى بحبسه طول عمره، ومنهم يرى أن لا قود عليه وتجب عليه الدية بنفسه ولا تجب على عاقلته، فكان الإمام

(١) انظر: تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٥٣

(٢) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٧١

(٣) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٦٦

(٤) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٩١

مطبقا للحدود آخذا باجتهاد العلماء غير متعجل في قصاص ما دامت الشبهة موجودة كما فعل ذلك النبي ﷺ وأمر بذلك.

ومن أئمة المغرب أبي الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري، "الذي بويع بطرابلس المغرب، فكان مثالا للزهد والورع والتقوى والنجدة والإقدام والعدل والاستقامة"[1] وذلك سنة ١٤١هـ، فقد "ميزه شيخهم [أي حملة العلم] أبو عبيدة مسلم بأنه الإمام الأول للإمامة المرتقبة في شمالي أفريقيا. ومن شأن ذلك أن يبين أن القوة التي كانت لا تزال الأبرز بالنسبة لمسألة القيادة هي قوة المستوطنين العرب؛ وقد أرسل أبو الخطاب إلى شمالي إفريقية لسد هذه الحاجة"[2] بعد أن توافد حملة العلم إلى المغرب ومنها طرابلس، كانت البلاد في تلك الفترة تعاني من جور وظلم وقتال على المنصب والسلطة وقمع الناس وكبت حريتهم وإذلالهم والحكم بما لا يرضي الله تعالى، فـ"بايع الإباضية أبا الخطاب عبدالأعلى بن السمح أميرا للمؤمنين على ليبيا وما جاورها، بايعوه على أن يقيم فيهم كتاب الله، ويحكم بينهم بحكم الله، ويسير بسيرة الخلفاء الراشدين، وأن يرد عنهم عدوان المعتدين، وطغيان الطاغيين، وسارع إليه المؤمنون الذين ملوا الجبروت والجور والظلم"[3]، فتشاور ممن كان في البعثة العلمية "أربعة أصدقاء من أفراد البعثة في إنقاذ الأمة من هذا الطغيان المسلط عليهم، وإتاحة فرص الحياة الكريمة لهم، وإقامة أحكام الله كما أنزلها الله، وعرضوا فكرتهم على أصحاب الرأي والعلم من أهل البلاد، فوجدوا منهم إقبالا وتشجيعا. . . وتم الاجتماع واتفقوا على مبايعة أبي الخطاب بالإمامة، فلم ير إلا والقوم يطلبون منه أن يمد يده للبيعة فيحكم بينهم بكتاب الله، ويقيم الحدود ويسير سيرة الخلفاء الراشدين، وحاول أن يمتنع من هذه المسؤولية

(١) شرح غاية المراد، سماحة الشيخ الخليلي، ص١٢٢

(٢) دراسات عن الإباضية، د عمرو خليفة النامي،ط١، ٢٠٠١م، دار الغرب الإسلامي بيروت، ص١١٤

(٣) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الثانية ص١٥٧

العظمى، وأن يتخلص من هذا الموقف الذي توضع فيه أمانة الأمة بين يديه. . . ولكنهم أصروا على موقفهم، وذكروه بوصية الإمام أبي عبيدة وخيروه بين قبول البيعة أو القتل، فرضى مكرها.

واشترطوا عليه ما يشترطه المؤمنون الذي يلقون بمقاليد أمورهم إلى رجل يثقون بدينه وأخلاقه وأمانته، وتمت البيعة"[1]، ثم بعد ذلك بدأت ترد أبي الخطاب أخبارا عن ما يقع من جرائم في القيروان وما يرتكب من قبيلة ورفجومة، فما كان منه إلا أن دعا الناس واجتمع بهم وقام بحثهم على الجهاد في سبيل الله وعلى الاصلاح بالمعروف والنهي عن ما يكون فسقا ومنكرا وجورا وكفرا، فسار بجيشه إلى القيروان ولقي ورفجومة، "ووقعت بينهم موقعة هائلة، أسفرت عن انهزامهم، فأمر بأن لا يتبع مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم، وأعلن الأمان للناس"[2]، وهذا ما عليه أهل الحق الأئمة العدول، فهم لا ينصرون ظالما مستبدا؛ بل يضربون يد كل متعد على حق مسلم، وإذا كان من قوم الإسلام لا يسمحون بسبيه أو أخذ ما يملك أو قتله إذا ولى مدبرا ولا يجهزون على جريح ولهذا لدليل صريح على نيتهم الصادقة في تحرير القهر والظلم ورفع الاساءة ونشر السلام والأمان. وما إن انتهى أبو الخطاب حتى توجه إلى طرابلس هو ومن كان معه بعد أن عين على القيروان واليا وكان عبدالرحمن بن رستم، وهذا اقتداء بالهادي وبخير البشرية حيث ورد عنه: "وكان ﷺ إذا افتتح بلدا، أمَّر عليه أميرا مرضيا"[3].

ثم قام بعد ذلك بحروب عدة، "ولكن سيرته في كل ذلك كانت سيرة واحدة. كفاح الظلم والطغيان، ودفع للمنكر والعدوان حتى إذا انتهت الحرب أشاع الإمام الأمان بين الناس، وساوى بينهم في الحقوق، ولم يؤاخذ أحدا منهم بما فعله إبان الحرب. . . تلك سيرته وهي السيرة الغراء

---

(١) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الثانية، ص١٦٣

(٢) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الثانية، ص١٦٤ وانظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م٥، ط٧، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار صادر بيروت لبنان، ص٣١٦-٣١٧

(٣) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس بن سعيد الشقصي، ص١٢٨

التي يدعو إليها الإسلام والتي تعرفها للخلفاء الراشدين الكرام"[١]. ودام هذا الكفاح السياسي بقيادة أبي الخطاب، "ثم استمر بقيادة زميله عبدالرحمن بن رستم الذي تمكن من الفرار إلى وسط الجزائر بعد وفاة أبي الخطاب حيث أنشأ الإمامة الرستمية سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م ودامت حتى ٢٩٦هـ/٩٨٠م"[٢]، وأقام الدولة الثانية للإباضية "في تاهرت في بلاد المغرب الأوسط، وامتد حكمها ليشمل معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط، وظلت تحكم هذه البلدان حتى عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م"[٣]، فساهم في نشر الدعائم والتعاليم الإباضية، وعمق جذورها في المغرب، وقام في الناس خير قيام، و"أمضى عبدالرحمن بن رستم إحدى عشرة سنة في الإمامة و لم تقم عليه ثورة، و لم يرتفع صوت بالإنكار في أي حكم من أحكامه، بل كانت جميع الألسنة تلهج بالثناء عليه والرضا عنه، وعن جميع عماله وموظفيه"[٤]، وهكذا هم أئمة الإباضية دائما في كل حدب وصوب؛ لأنهم ما جاءوا إلا ليعدلوا ولينفذوا أحكام الله ويراعوا أنفسهم في المسؤوليات قبل كل شيء، ولا يحملوها أوزار المهمة التي نصبوا لأجلها والتي كانت تكليف لا تشريف لهم، وهم ما نصبوا إلا بإشارة الناس والعلماء لهم وهذا ينم على الاختيار النزيه والمرضي والذي يحقق شرع الله تعالى في اختيار الأكفأ وتطبيق نظام الشورى بين المسلمين الذي قال المولى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى: ٣٨]، فقد امتدح الذين يأخذون بهذا النظام أنهم مستجيبون لربهم ومقيمون لصلاتهم وسائر عباداتهم والإمامة تعد من العبادات. وقد حقق نجاحا كبيرا كما نرى في إمامة ظهور هؤلاء الأئمة الكبار الذين ما فتئ

(١) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الثانية، ص١٦٥

(٢) دراسات عن الإباضية، عمرو النامي، ص١١٤ دامت الدولة الرستمية إلى ٩٠٨ وليس كما ذكر الكاتب ولعل ذلك وقع سهوا، انظر: معجم مصطلحات الإباضية، ج١، ط١، ٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ، ص٤٢٣

(٣) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، د رجب محمد عبدالحليم، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع سلطنة عمان السيب، ص١٣١

(٤) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، ج٢ الحلقة الرابعة، ص٢٤

التاريخ ولا انفك عن الثناء عليهم وعلى سيرتهم الزكية وعلى حسن اقتداءهم بهادي البشرية، وعلى شدة ورعهم وقوة نفاذهم وعزيمتهم وبصيرتهم الثاقبة التي تأتت لهم ظهورهم بين المسلمين، وأعانتهم على إيصال الشعوب إلى بر الأمان، وأنجدتهم من ظلمة الزمان وحالت بينهم وبين ما يشتهون من ظلم واستكبار على غيرهم.

الفصل الثالث: مسلك الدفاع.

المبحث الأول: مسلك الدفاع وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي:

المطلب الأول: معنى الدفاع لغة واصطلاحاً:

أولاً: معنى الدفاع لغة:

جاء في لسان العرب:

دفع: الدفع: الإزالة بقوة. دفعه يدفعه ودفاعا ودافعه ودفعه فاندفع وتدفع وتدافع، وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه، وتدافع القوم أي دفع بعضهم بعضا. ورجل دفاع ومدفع: شديد الدفع. وركن مدفع: قوي. ودفع فلان إلى فلان شيئا ودفع عنه الشر على سبيل المثال.

ومن كلامهم: ادفع الشر ولو إصبعا؛ حكاه سيبويه. ودافع عنه بمعنى دفع، تقول منه: دفع الله عنك المكروه دفعا، ودافع الله عنك السوء دفاعا. واستدفعت الله تعالى الأسواء: أي طلبت منه أن يدفعها عني. وفي حديث خالد: أنه دافع بالناس يوم مؤتة أي دفعهم عن موقف الهلاك، ويروى بالناس بالراء من دفع الشيء إذا أزيل عن موضعه.(١)

إذن يتبين لنا من التعريف اللغوي على أن الدفاع يكون بدفع الشر والضرر المحيط والتدافع إلى إزالته ورفعه عن القوم ولا يكون إلا باشتراك جمع وتدافعهم جماعة لدفع الضرر أو الشر أو الباطل الواقع أو المحدق على وقوعه.

(١) لسان العرب، ابن منظور، م٦، ص٢٧٤

وكما جاء في المعجم الوسيط أيضا (دفع): إلى فلان – دفعا: انتهى إليه. و يقال: طريق يدفع إلى مكان كذا: ينتهي إليه. و الشيء: نحاه و أزاله بقوة.

وفي التنزيل العزيز ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١]. و يقال: دفعته عنه ودفع عنه الأذى و الشر.

(دافع) عنه مدافعة و دفاعا: حامى عنه وانتصر له.

(الدفاع الشرعي): حق يخوله القانون للشخص فيبيح له الالتجاء إلى القدر اللازم من القوة لدرء خطر الاعتداء على نفسه أو ماله أو على نفس الغير أو ماله.[1]

فالدفاع يكون من أمر مستقبح لا يرى فيه مصلحة أو خير أو فائدة، ويستعمل لحماية من يقوم به لدرء مخاطر أو فتنة منتظرة أو خطر جسيم محدق به وبمن حوله، ويكون اشتراكيا أي جماعيا والهدف منه تثبيت أمر سابق أو تحسين لحال لاحق.

ثانياً: معنى الدفاع اصطلاحاً:

تأتي مرحلة الدفاع بعد مرحلة الظهور وهي "أقل مرتبة ودرجة وفضلا"[2]، ولذلك يعتبر المحقق الخليلي الدفاع أقل رتبة عن الجهاد -ويقصد بالجهاد حال الظهور- وأما الدفاع فلأنه يخص النفس من دفع مضرة أو جلب مصلحة ويرى أن الجهاد خروج على العدو وقتاله امتثالا لأمر الله سبحانه وأما الدفاع يكون قتالا للعدو الخارج على المسلمين[3] والدفاع هو أن يجتمع المسلمون لدفع العدو حال انقضاضه عليهم عند مبايعتهم لأحد من المسلمين وذلك "أن يبايعوا أمراء سموهم

(١) المعجم الوسيط، ج١، ص٢٨٩

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٨٥

(٣) انظر: أجوبة المحقق الخليلي، الإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، ج٧، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، مكتبة الجيل الواعد، ص٢٢٣-٢٢٥

أمراء دفاع، وذلك عندما تبلغهم أخبار عن مهاجمة عدو لهم، أو تتوقع خطر يترل عليهم، فإنهم يتفقون على واحد منهم يبايعونه على أن يقودهم في معركة الدفاع"[١]، وأما عن حالها ووقتها فـــ"تعتبر هذه الإمامة وليدة ظروف تفاجئ الدعوة الإباضية، فتلجأ إلى اختيار إمام يقود الجماعة في معاركهم للدفاع عن الأراضي التي بحوزتهم"[٢]، ويكون الإمام المبايع على الدفاع أي إمام الدفاع قائدا للصفوف – صفوف الدفاع – لرد العدو وصده حتى ينتهي أمره ويزول شره. ومجتمع الدفاع هو "المجتمع الذي يقف دفاعا يحارب عدوا داهمه، واحتل دياره، أو أن يقف ضد حاكم (إمام) عبث بمصير الأمة الإسلامية وانحرف عن تطبيق كتاب الله ﷻ، وفي هذه الحالة، فإن المجتمع مطالب بتعيين إمام من قبل الأمة الثائرة تجب عليهم طاعته"[٣].

وسميت هذه المرحلة بالدفاع؛ "لأن المسلمين يشغلهم الدفاع عن أنفسهم ودينهم ومكتسباتهم عن إقامة الدولة والظهور على الأعداء، ويكون المسلمون حينئذ قد ضعفوا وتخلفوا عن شرف الظهور، لنقص إمكانيتهم وقلة عددهم"[٤].

وإمامة الدفاع تكون بعد الظهور، "فإذا انحدر المسلمون عن هذا المقام [أي الظهور]، وتضاءلوا عن هذا الشرف، ونزلوا عن هذه المرتبة التي رفعهم إليها الإيمان بالله، والثقة فيه، فيجب أن لا يهادنوا الظلم، وأن لا يستكينوا للطغيان، وأن لا يسمحوا للأيدي العابثة أن تعبث بمقدورات الأمة، فتنتهك حرماتهم، وتحول دون أمور دينهم، وتتحكم في أعمالهم وعبادتهم، وتنصرف في أموالهم بغير التشريع الذي وضعه عالم الغيب والشهادة، والهدي الذي تركه محمد ﷺ لأبناء الإسلام. . . وجب حينئذ أن يقف المسلمون في طريق نلك الدولة الباغية، يأمرونها

(١) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الرابعة، ص٢٣٧
(٢) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٢٦٧
(٣) الإباضية في الخليج العربي، نايف السهيل، ص٦١
(٤) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٨٥

بالمعروف، وينهونها عن المنكر، ويلزمونها أن تسلك بهم طريق الصواب، فإذا اعتزت بالإثم واستمرأت طعم الظلم، واستكبرت أن تخضع لأمر الله، وأن ترجع إلى سبيل الله، فحينئذ يأتي القسم الثاني من التنظيم الإسلامي وهو الدفاع"[1] وذلك لرد عدوان خارجي أو ردع بغي أو سلطان جائر وهو عدوان داخلي. وهذه الأهداف هي المتوخاة والمرادة و المهدوفة من الدفاع حيث أن الدفاع "من الفروض الواجبة إذا عدم الظهور وهو اجتماع الناس على إمام يقدمونه عند مقاتلتهم العدو الذي دهمهم، فإذا زال القتال زالت إمامته، وتجب عليهم طاعته كعبدالله ابن وهب الراسبي إمام أهل التحكيم الفرقة المحقة بايعوه إذ غشيهم العدو فاستشهد بالنهروان ومن معه من المسلمين إلا يسيرا"[2]، فإذا انتهى الدفاع انتهت إمامته "إلا أن يراه المسلمون صالحا للإمامة العظمى فيثبتونه ويصبح (إمام ظهور)"[3].

ويكون الدفاع إذا تغيرت الأوضاع وأصبح العدو وشيك الهجوم أو المداهمة أو وقع انشقاق أو بغي أو انحراف في السلطة عن المسلك الصحيح فتظهر المعارضة عليها و"هذه المعارضات تنم عن حالة من السخط والاستياء، وأكثر هذه المعارضات تطالب بالإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي"[4] فينتقل المسلمون إلى هذه المرحلة دفاعا وانتصارا. يقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحُجُرات: ٩]، فهنا أمر بقتال من يخرج عن أمر الله تعالى ويعدل عنه ويبغي في دينه حتى يدافع عن الحق وعن

(١) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الأولى، ص٧٦

(٢) مقدمة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧٠

(٣) الإمامة في الفقه الإسلامي، العبري، ص٤٨

(٤) الإباضية بين حراسة الدين وسياسية الدنيا، د إسماعيل بن صالح الأغبري، ط١، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ص١٣٠

المسلمين، ويتصدى ويثار في وجوههم إلى أن يقدروا عليهم ويرجعوهم إلى الحق أو يقتلوهم وينهوا ويكفوا المسلمين من شرهم وأذاهم. وما يقوي هذا على القول بالإجماع أن المدين لا يخرج في طلب الجهاد ولكن "اختلفوا إذا فاجأه القتال. فقيل: ليس له أن يعرض نفسه له. فتذهب حقوق الناس. وقيل: يقاتل عن نفسه إذا داهمه. وإن قتل رجونا أن يتحملها الله عنه بفضله"(١) فهناك من يرى بجواز القتال مع وجود ما يمنعه وهو الدَين ولكن الدفاع في هذه الحالة جعله في حالة استثناء وأباح له أن يدافع عن نفسه ودينه وذويه ويحميهم دفعا للضرر الموجود.

ويسمى الآن في الوقت الحالي بالثورة، ويكون انتصارا ودفاعا عن النفس والدين، والنفس والدين من الكليات الخمس، والدفاع يحافظ على الكليات الخمس وكذلك بقية المسالك تهدف إلى نفس الغاية، ويكون الدفاع ضد عدو يهاجم المسلمين محاولا أذيتهم في مالهم ودينهم وأبدانهم وسلطتهم، مريدا لهم الخزي والذل، ساعيا لتشتيت حكمهم وقوتهم، ولهذا يندفع المسلمون بعد أن يجتمعوا "على مبايعة أحد منهم ليقودهم دفاعا عن دينهم وعن حرماتهم، إلى أن تنجلي الغمة وينكشف العدو، وتنتهي بذلك بيعته"(٢) فيقود جيشهم بحنكة وفطنة وشجاعة، وهذا لا يكون إلا من له المعرفة والممارسة والخبرة العسكرية؛ فهو وإنما سبب نصبه لقيادة الجيش والسير نحو خطى الانتصار وردع العدوان، وبعد انتهاء الأمر تنتهي إمامته ويكون حاله كحال المسلمين الآخرين، أي أن إمامة الدفاع تكون مؤقتة حال وقوعها أي "تقتضيها ظروف معينة لمجابهة أحداث واقعة أو متوقعة، فإذا زالت الظروف زالت الإمارة"(٣) أو ضرورة سلوكها وتبدأ عند المبايعة وتنتهي بانتهاء ما أوجب الدفاع.

---

(١) الورد البسام في رياض الأحكام، الإمام عبدالعزيز بن الحاج ابراهيم الثميني، ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ، وزارة التراث سلطنة عمان، ص٢٧٣

(٢) شرح غاية المراد، سماحة الشيخ الخليلي، ص١٢٠

(٣) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الرابعة، ص٢٣٧

و لهذا فليست مرحلة الدفاع تعقب الشراء كما ذكر مهدي طالب هاشم[1] الذي يرى ذلك، بل الشراء يعقب الدفاع بعد عدم تحققه، "ولعله من الأرجح أن تعقد إمامة الدفاع بعد زوال الظهور وضعف الدولة الإباضية"[2].

فالدفاع يكون بعد الظهور وليس بعد الشراء، والشراء يأتي بعد الدفاع والعجز عنه فيكون الظهور أولا ثم الدفاع تاليا، وإن فشل الدفاع أو هزم يليه الشراء، وآخرا يكون الكتمان إن لزم الأمر وكانت المصلحة توجب ذلك.

المطلب الثاني: أدلة الدفاع من عهد الصحابة:

بعد ما توفي رسول الله ﷺ خلفه الصديق أبو بكر ﷺ و بايعه المهاجرون والأنصار على الإمامة، ثم بعد هذه البيعة وقعت أول ثورة في الإسلام، وذلك بعد أن وقعت الردة ممن كانوا يشهدون شهادة الإسلام، فحاربهم الصديق حتى استقر الوضع الأمني في دولة خلافته، وكذلك في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ثم جاء الخليفة عثمان بن عفان، ولكن بعد مرور ست سنوات على حكمه بدأت الأمور تنعكس على غير مجراها، حتى قامت ثورة أخرى أدت إلى مقتله، ثم بويع الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للخلافة، ولكن كان هناك بعض من الصحابة الذين لم يرضوا ببيعة علي فحملوا راية الثورة على علي، وكانت تلك ما تسمى بواقعة الجمل وكانت معهم السيدة عائشة أم المؤمنين وبذاك اعتقد البعض أنها المؤشر والعلامة على الحق، فحملوا عليه حتى قتل من قتل في تلك الواقعة، فكانت الثورة الثالثة في عصر الخلفاء، ثم بعد ذلك عندما كان معاوية في الشام فجهز له علي جيشا بعد ما أظهر أنه يطالب بدم عثمان، وتمت الثورة على معاوية التي هي معركة صفين حتى كاد يرى أنه لن يصمد وتأكد بهزيمته ونصر جيش علي، فلجأ إلى

(١) انظر: الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٢٩٥

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٨٥

الحيلة والمكر وإعلان فكرة التحكيم التي فسخت إمامة علي الشرعية فور قبوله التحكيم، فلم تبق له إمامة يعترف بها من رأى بعدم جواز قبول التحكيم، وقد كانوا هم الإباضية الذين اعتزلوا بعد ذلك وخرجوا عن طاعة علي بعد ما ترك الإمامة بيده واختياره عندما وافق على التحكيم، فلجأوا إلى مكان يسمى حرورا وانعزلوا فيه وعينوا لهم إماما، فنصبوا بعد الاختيار التريه والبيعة الشرعية الإمام عبدالله بن وهب الراسبي، ولكن لم يطل الأمر حتى خرج علي على أهل حرورا، وكان فيهم من صحابة رسول الله ﷺ فهجم عليهم مما اضطرهم إلى الدفاع عن أنفسهم والخروج عليه، وكانت تسمى بمعركة النهروان، لذا كان دفاع إمام الدفاع عبدالله بن وهب دفاعا خامسا في عهد الصحابة، وثورة ضد من تعدى وتجاوز الإمامة الشرعية، وذلك بعد امتناع شديد منهم حتى قضى الأمر أن يدفعوا عن أنفسهم الموت ويحافظوا على شوكتهم ودينهم.[1] والمتتبع لهذه الأحداث يلاحظ وجود هجمات وثورات، والثورات المراد بها هنا، "الحركة التي يقوم بها الناس لتغيير وضع لا يرضيهم دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا"[2] بين طائفتين من المسلمين، وهذه تقع حال خروج واحدة منهما عن جادة الطريق، وتقوم الأخرى لدفع ضرر قائم ولحماية الأفراد الموجودين تحت سلطتها وسلطانها.

فالدفاع أمر مشروع ولو كان على فئة مسلمة ما دامت باغية؛ لأن الله تعالى قال: فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله، مع أنها فئة يكون فيها مؤمنون، ولكن المقصد منه هو رد من بغى وتعنت، وهذا ما وقع فعلا بعد وفاة النبي ﷺ من أحداث، كما تقدم ذكره سلفا، فقد كانت الفئات التي حدثت الثورات بينها جميعها يشهد الشهادتين، ولكن عندما يخرج البعض عن أوامر الشارع يجب ارجاعه وتصويبه، وهذا يكون واجب الأمة جميعها.

---

(١) انظر: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، بكير بن سعيد أعوشت ، ص٢٨- ٣١ وانظر: الإباضية في موكب التاريخ، الشيخ علي يحيى معمر، الحلقة الأولى، ط٣، ٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ، مكتبة الضامري مسقط، ص٢٥-٢٩

(٢) انظر الهامش: الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الأولى، ص٢٥

وأما ما حدث من ثورة دفاع عبدالله بن وهب الراسبي وأصحابه، فقد كانت واضحة بينة في الحق بعد ما أصبح إماما باختيار جمع غفير من الناس ومنهم بعض الصحابة، وما كان فيها أي تعدي على حرمات أحد أو انتهاك؛ بل كان اعتزالا في الأصل دون المساس بحق مسلم، ولكن لما قرر جيش علي الإغارة على أهل النهروان ما كان منهم إلا تقديم الدفاع عن أنفسهم والذود عن دينهم ومعتقدهم -الصحيح- وأرواحهم، والتفاني لأجل الحق ونصرته، فما كان إلا أنهم قضوا نحبهم لله وفي سبيله، وكان من بينهم الإمام عبدالله بن وهب وبعض الصحابة، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل دار الخلد مستقرهم ومستودعهم وقراراهم.

المطلب الثالث: أحكام الدفاع وشروطه:

من حق المؤمن أن يدافع عن دينه وعرضه وماله وشرفه، وأن يدفع كل ما يمس كرامة الإسلام أو حقوق الله تعالى، ولكن إذا وصل إلى مرحلة الدفاع وجب عليه معرفة ما له وما عليه من أحكام وضوابط وواجبات، "ويشترط في إمام الدفاع الشجاعة والحنكة والرأي. ومن حقوقه على الأمة الطاعة الكاملة. ومن واجباته الثبات في القتال، والصبر عند مواجهة العدو. والدفاع من الفروض الواجبة إذا توفرت موجباته، وعُدم الظهور. وهو فرض عين على كل قادر حتى يأتي النصر من عند الله، فإذا هدأت الأوضاع واستقرت أصبح إمام الدفاع واحدا من أفراد الأمة، تزول إمامته بزوال موجباتها. . . "[1] وكذلك إذا كان الإمام إمام دفاع جاز له أن يأخذ الصدقات ولو كان عنوة، حيث جاءت مسألة فيها، "وللإمام -إذا كان شاريا وأعوانه مدافعين- أن يكره الناس على أخذ الصدقات. وكذلك إن كان مدافعا، فله أن يكرههم أيضا"[2]فيأخذ حكم إمام الظهور في جباية الصدقات؛ لأنها حق من حقوق الله تعالى، ولا تعطل الحقوق والواجبات في إمامة

(١) معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج١، ط٢، ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ، وزارة الأوقاف سلطنة عمان، ص٣٥١

(٢) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٨٥

الدفاع؛ لأنها تكون شاهرة ظاهرة ،فكما أن الصلاة تبقى واجبة لا يطرأ عليها أمر ولا يقطع وصلها فعل أو حادث، فكذلك الزكاة هي كالصلاة أيضا، فيبقى حكمها وهو الوجوب. وثورة الدفاع "بيعة تخول الإمام أن يقود الناس إلى الدفاع عن أموالهم وحرماتهم وأنفسهم وأوطانهم، ويقيم بينهم وفيهم في تلك الفترة أحكام الله وحدوده"(١)

وإمام الدفاع تكون مهمته الأولى والأساس حماية البيضة وصون المسلمين، والدفاع عنهم وعن أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، فهو إنما عيّن إماما لأجل ذلك، فلا يستكين في طلب الحق ولا رد قهر أو فساد، فيحارب من انشق عن صف المسلمين سواء كان من داخل الدولة نفسها أو ظهر عليهم من خارجها، ومما يوقع الدفاع ويوجبه ويفرضه حال "مداهمة العدو للأمة، وسيطرته على الوضع وقد يكون هذا العدو من خارج الدولة، استهدف الأرض والشعب وأطاح بالإمامة القائمة، أو من الخارج بتدخل أجنبي في شؤون الدولة، وهذا هو الغالب"(٢) أو أن يستشري الفساد، ويجاهر بالمعاصي والموبقات والفواحش دون ظهور أي إنكار على هذا، ويكثر الظلم، ويقهر المساكين، ويذل الأحرار، ويترك الإمام العدل، وينحرف عما أمر به وبويع عليه، وخيانته للأمانة التي أمنه الله تعالى إياها، وأمنه المسلمون بذلك.

فإن وقع هذا و لم يتمكن العدول من الظهور عليهم، دخلوا في مرحلة الدفاع فقاموا ضد من خالفهم وباغتوهم وشردوا بسلطتهم وحاربوهم، حتى يفيؤوا إلى أمر الله ويعدلوا، أو حتى يخرج العدو من دولتهم، أو يقتل وينتهي وجودهم وآثارهم، ثم تعود الأمور إلى مجاريها الطبيعية وترجع الناس إلى ما كانت عليه من حق، والإمام تنتهي إمامته "وبنهاية الحرب تنحل إمامته تلقائيا، بحيث

(١) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الرابعة، ص٢٣٧

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٨٦

لا يكون لدى المسلمين أية صعوبة في إزاحته من منصبه"[١] وذلك فور تحقق المقصد من هذه الثورة، "يسمى قائد الثورة إمام الدفاع، له على الأمة الثائرة حق الطاعة والامتثال ما دامت الثورة قائمة، فإذا هدأت الأوضاع واستقرت أصبح واحدا من أفراد الأمة"[٢]؛ ويعني أن يكون واحدا من أفراد الأمة بأن "إمام الدفاع إذا كان القتال كانت إمامته وإذا زال زالت إمامته"[٣] فلا إمامة له بعد ذلك، "فإذا أمنوا وزال الخطر ورجعت الأمور إلى نصابها انحلت البيعة من أعناقهم، وزالت الإمامة عن إمامهم، ورجعوا تلقائيا إلى الوضع الذي كانوا عليه قبل أن تنجم هذه الحركة"[٤] إلا أن يبايع على ذلك من جديد لأنه؛ "لا يكون لزعيم الثورة أو أمير الدفاع أي حق في الحكم، إلا إذا اختارته الأمة. . . ".[٥]؛ لأن الظهور حادث أو يبايع غيره عليها. وأما عن ماهية بيعة الدفاع وما يجب على الإمام من أحكام، فهو "أن يبايع الإمام على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحقوق، وقبض الصدقات، ثم يكون مدافعا، يقيم ما استقام له الأمر وصلح، ويتخلف ما يرى التخلف أصلح"[٦] "وهذا الإمام الذي عين من طرف الأمة الثائرة تجب عليهم طاعته، ويلتزم بالأحكام التي تقع حال كونه إمام المسلمين. وإذا زال القتال زالت إمامته، وله الحق أن يرشح نفسه لإمامة المسلمين من جديد"[٧] وفترة الحكم التي يشغرها إمام الدفاع محدودة لا تتعدى إلى غير فترة الدفاع، وهذا حكم إمامته مؤقت باعتباره "كالوكيل للمسلمين إلى وقت معلوم"[٨] أو أن

(١) دراسات عن الإباضية، د عمرو النامي، ص٢٧٧
(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٨٦
(٣) عقيدة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧٣
(٤) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الرابعة، ص٢٣٧
(٥) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الأولى، ص٧٧
(٦) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٦٢
(٧) دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، بكير بن سعيد أعوشت، ص١١٤
(٨) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٦١

يكون "إمام دفاع في شيء معلوم، مثل أن يدهم المسلمين حرب أو رباط، أو مثل ذلك. فإذا زال ذلك زال حكمه، إلا أن يرى المسلمون تثبيته، ورأوه موضعا للإمامة. والله أعلم"(١)

ويشترط لإقامة إمامة الدفاع أولا أن ينعدم الظهور والأصل، ولا يمكن الوصول إليه ولا تحقيقه، فيلجأ إليه دفعا لشر أو مفسدة أو جور قادم أو متحقق، فإن وجد ما يخرم السلطة أو الدين، ويعبث بحقوق الناس، ولم يوجد من يتصدى له أو ينكر عليه قام الدفاع بديلا عن الإمام الموجود في حال كان الإمام يرتضي ذلك ويسكت عنه –حال وجوده– ويدفع العدو وشره حتى يقضي عليه، ثم بعد ذلك يعم الأمن ويستقر الحال وتسكن الأمور، فيتم تعيين إمام ظهور بعد ما تم دفع الغي والظلم وهذا هو الهدف الأكبر من الدفاع؛ فهو يهيئ الطريق ويبسطه لمصلحة كبرى وهي إمامة الظهور، بعد أن حال بينها وبين ظهورها حائل.

المطلب الرابع: نماذج من أئمة الدفاع:

إن المتتبع لتاريخ الإباضية، ليجد أن الإباضية لم يسعوا إلا للإصلاح وإقامة الحرية التي كتبها الله تعالى لعباده، وبذلوا أوسع ما في طاقتهم ليحرروا العبودية التي جاء النبي محمد لمسخها من أمة الجاهلية؛ ولكن بعد ما وقع ما وقع من أحداث وثورات بعد وفاته ﷺ، ودخل التغيير للدين ووقعت الأحداث وعاد جور الأمم بعد ما تركها هاديهم، هبَّ الإباضية لتحقيق ما أرادته الشريعة، وأقاموا منهجا لهم يصلح أن يتعامل به مع كل ظرف وكل حال. فحينما رأوا أن الإنسان مسؤول عن وطنه ودينه كما هو مسؤول عن نفسه لم يدخل الحسد في قلوبهم، بل دخلت الغيرة والاستنكار، فكان مما أوجبوه على أنفسهم أن يقوموا بالدفاع عن كرامة الإنسان المسلم وكرامة عقيدته السمحة التي لا ترضى بما كان دخيلا عليها، خارجا عن أطر الشرع وعن

(١) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٦١

حقيقة العبودية التي فرضها الله تعالى، فما كان لهم إلا أن يستجمعوا قواهم ويقصدوا إلى سبيل الله تعالى والجهاد في نصرة حقه وعباده.

وكما هو معلوم ويكاد أن يطبق عليه الإجماع، أن أول إمام دفاع هو الإمام عبدالله بن وهب الراسبي، الذي بايعه المسلمون بعد أن انشق المسلمون إلى عدة صفوف، فذهب الكثير إلى اعتباره أنه إمام دفاع، وذهب آخرون إلى اعتباره إمام ظهور، كتعليق المحقق الشيخ إبراهيم أطفيش الجزائري في كتاب مقدمة التوحيد وشروحها، للشماخي والتلاتي، فقال: "كون الإمام عبدالله بن وهب من أئمة الدفاع لا يوافق الواقع التاريخي الصحيح ومن العجب أن الفقهاء كلهم اتفقوا على أنه امام الدفاع وليس كذلك بل هو إمام الظهور بويع بعد التحكيم لما اجتمع بقية الصحابة من المهاجرين والأنصار من أصحاب علي فخاطبوا عليا إمامهم قبل تنازله فكتبوا إليه بالأمر الواقع وطلبوا إليه الدخول معهم فيه فكان هذا مثار الحرب فحصلت واقعة النهروان هذا هو الحق الذي لا مرية فيه. . . أما إمام الدفاع فتكون مبايعته عند مجابهة الحرب ثم تزول بزوالها ووضع أوزارها ومبايعة عبدالله بن وهب ليست كذلك كما رأيت فهو أول إمام بايعه المسلمون بعد علي وما يحشره المؤرخون خلاف هذا كله ليس بشيء وإنما هو تضليل وطمس للحق الذي حفظه التاريخ ونقله أمناء العلم فاشدد يديك عليه ودع الهرف، ومبايعة هذه الكتلة من خيار بقية الصحابة لعبدالله وفيهم مثل زيد بن حصن الطائي وحرقوص بن زهير السعدي وشجرة بن أوفى وهو بدري وغيرهم من أكابر الصحابة لدليل على مترلته العظيمة عندهم وهو من الصحابة وكبارهم رضي الله عنهم"[1] وكما نرى، فقد عنّت وشدّد على من اعتبر أن الإمام عبدالله بن وهب إمام دفاع، بل اعتبرها أنها إمامة ظهور؛ لأن الأمة كانت بدون إمام وأن من بايع ابن وهب كانوا من كبار الصحابة، فهم لا يبايعونه إلا على الحق والصواب ونصرة الدين الذي لا ينتصر إلا بوجود إمام

(١) من الهامش: عقيدة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧٢

يظهر على الكفر والطغيان والجور وأعداءه، ويلتف حول المسلمين ويقوم بإدارة دولتهم، ويطبق عليهم حدود وأحكام الله تعالى، وهذا ما كان عليه الشأن عند مبايعته رضي الله عنه، ومن علمائنا المعاصرين الذي لا يرى بإمامة عبدالله بن وهب إمامة دفاع بل إمامة ظهور شيخنا الخليلي – حفظه الله تعالى- حيث قال: " ومن العلماء من ذهب إلى أن بيعة عبدالله بن وهب الراسبي رحمه الله تعالى كانت بيعة دفاع، ومن بين هؤلاء العلامة الكندي شارح هذه المنظومة[يعني: منظومة غاية المراد]رحمه الله تعالى، وليس بذلك بشيء، فأن أحداث البيعة تدل على أنها كانت بيعة ظهور، لأنهم ولوه أمر المسلمين بعد أن أصبحوا لا قائد لهم حين وقع التحكيم واتفق الحكمان على خلع الخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه-، مع ما تم من الاتفاق بينه وبين خصمه معاوية بن أبي سفيان على تحكيم ذينك الحكمين"[1] وأما من قال بأنه إمام دفاع – وهم الغالبية- ،فقد اعتبروا أنهم انشقوا عن صف علي ومعاوية، ولما حان لعلي أن يهاجمهم دافعوا وتصدوا له، "وإمام الدفاع مثلوا له بعبدالله بن وهب الراسبي لما داهمهم جيش الإمام علي بن أبي طالب بالنهروان بايعوه مدافعا عنهم حتى قتل أكثرهم. أما العلامة أبو إسحاق أطفيش فيرى إمامة عبدالله بن وهب إمامة ظهور وله وجه وجيه"[2] وهذا قد يكون له وجهة نظر لديهم، وذلك من وجهة نظري أنهم لم يفرقوا بين أول البيعة وهي بيعة ظهور على أن يكون ابن وهب هو الإمام الذي شغر الإمامة بعد أن أصبحت دون إمام بعد موافقة علي بالتحكيم، فاعتبروه أصحابه إمام ظهور وبين التزامن الذي حصل وهو هجوم علي عليهم في تلك الفترة، فلعل خروجهم لقتال علي جعل الهيئة التي نصبت عليها الإمامة إمامة دفاع؛ لأن عبدالله بن وهب خرج هو وأصحابه للدفاع بعد أن جر علي جيشه نحوهم يسوقهم إلى أهل النهروان، الذين لم يحدثوا في الدين من شيء و لم يرتكبوا ما يزلزل وحدة المسلمين، عكس ما كان عليه معاوية الذي خرج عن علي وقاتله ثم انتزع

(١) شرح غاية المراد، الخليلي، ص١٢٠-١٢١

(٢) المسالك النقية إلى الشريعة الإسلامية، سالم الحارثي، ص١١٠

منه الملك، أما هؤلاء الفئة لم يكن جرمهم إلا أنهم انحازوا للسلم وابتعدوا عن حرب تسيل فيها دماء المسلمين، ونصبوا لهم إماما يقوم بأمور دينهم ودنياهم، حتى لا تكون هناك فوضى أو تعد على حرمات الغير، ولكن ما دامت هذه الإمامة حتى قتل إمامها ومعه جمع من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعا.

كذلك قد يكون اعتقاد أن عبدالله بن وهب إمام دفاع يمكن من زاوية، أن البعض تمسك بالإمامة لعلي بن أبي طالب واعتبر أن كل إمامة أخرى تعتبر خارجة عن إمامته، وبهذا فقد اعتبروا أن عليا لا زال إماما وأن عبدالله بن وهب انشق عنه فخرج عن إمامة علي وبويع بإمامة أخرى وهي إمامة الدفاع؛ حتى يأمن من بايعه على نفسه وعلى الدفاع من علي إن حال بينهما قتال، وهذا ما حصل فعلا في التاريخ، فقد عدوا عليا إمام للمسلمين و لم تسقط عنه الإمامة، وأن ابن وهب خرج ليدفع إمامة علي لأنه لا يعدها شرعية بعد أن قبل التحكيم. ومن الأسباب أيضا أن في تلك الأوقات لم يكن هناك منهج يتبعه عبدالله بن وهب في نظام البيعة؛ لأنها تعد أول بيعة ظهور للإباضية، فلو كان المنهج موجود سابقا لنص صراحة على نوع البيعة ولذكر المسلك الذي تم من خلاله تعيين الإمام، فلم يبايع على أنه إمام دفاع أو ظهور، وهذا ما جعل الأمر يشتبه على من قال بأنه إمام دفاع.

وأما القول بأن إمامة عبدالله بن وهب هي إمامة ظهور فله من الوجوه ما له، وذلك أن عبدالله بن وهب وأصحابه قد صاروا فئة ليست باليسيرة، وأنهم في حالة اعتزال بعد ما وقع في المعركة التي وقع فيها التحكيم وانفساخ إمامة علي، فرأوا أن الإمامة فرض حتى يقوم الدين الذي لا يتم إلا بها من حدود و أحكام و فرائض ومن قتال أيضا، فبايعوا عبدالله بن وهب على أن يقوم

فيهم بكتب الله وسنة الرسول المرسل ويقيم الحدود لأنه؛ "إنما يقيم الحدود الأئمة أو بأمرهم"[1] ويقصد به إمام الظهور، وكذلك أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا كله كان بوجود البيعة التي تدل على أنها بيعة للظهور؛ لأنه ما كان هناك من أمر يدل على أنه دفاع إلا وقوع الحرب وقيامها بينه وبين علي وهذا هو السبب الرئيس، وكذلك لم يكن هنالك من مانع يمنع إمامة ظهور الإمام عبدالله بن وهب في أمر؛ لأن المعروف أن إمام الدفاع يقدم على ما يستطيع فعله ويترك ما لا يقدر عليه، فتكون إمامته محصورة ليست كإمامة الظهور التي لا يشوبها شائب، ولا يمنع الإمام من إتيان أحكام الله تعالى وشرائعه، أيضا أن إمامة عبدالله بن وهب لم تكن عند مجابهة الحرب آنذاك حتى تعتبر دفاعا، بل كانت سابقة بعد أن انسحبوا من الجيش كما سبق وذكرنا.

وعلى هذا نعتقد ونستعين بالله في الحق على أن الإمامة الأولى للظهور هي إمامة عبدالله بن وهب الراسبي، ومما يدل على ذلك أن نهايتها كانت سريعة؛ لانعدام التخطيط بسبب ضيق الوقت الذي داهمهم فجعل الإمامة تنتهي سريعا، وذلك لعدم التريث في اختيار الإمامة المناسبة والمسلك الصحيح في تلك الأجواء المحشوة بالفتنة، وكذلك أيضا وجود الأعاصير الحارقة بالفتنة وقتال المسلمين، فلم تجرأ هذه الفئة في الدخول تحت هذه الطاحونة من الفتن، مما أودى بحياتها وهي في ريعان شبابها، فكانت هذه عبرة للأئمة الذين جاءوا من بعدهم ودرس دلهم على اتباع الحكمة والطريق الأنسب المحقق للهدف المراد لدوام وجودهم.

وقد ذكرت اجتهادا مني –وقد يخطئ من كان ليس له من العلم في شيء ولكن نسأل الله إصابة الأجر لمن أخطأ في محاولته– إمامة عبدالله بن وهب في هذا الباب؛ حتى يتسع لي المقام إلى

(١) السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، ت: د سيده إسماعيل كاشف، ج٢، ط١، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ص١٩٧

التعليل وذكر من عارض القول بأنها دفاع، وحتى يتضح الأمر والفرق بين نوع البيعتين، والأسباب التي أدت إلى قولهم بتصنيفه إمام دفاع، وحتى نستطيع أن نحكم بعد تتبع إمامة الدفاع وكيف تكون، وما هي أحكامها وشروطها الواجب تحققها لتكون دفاعا.

وأما في عمان فقد اعتبرت إمامة محمد بن أبي عفان التي سبقت إمامة ظهور الإمام الوراث ابن كعب إمامة دفاع، كونها جاءت بعد انعدام العدل، وتفشي الظلم على المسلمين من الجبابرة، فقد "كانت عمان في ذلك العصر يملكها بنو الجلندى، ويحكي التاريخ أنها في العصور الأخيرة كانوا-ويا للأسف- أمراء غير صالحين في الحكم ولا مع الشعب. . . كثرت الفوضى في البلاد وعم الظلم والجور، فاجتمع العمانيون أهل الحل والعقد ورجال العلم والفكر، فانتخبوا محمد بن أبي عفان إماما، وذلك في سنة ١٧٥هـ الموافق ٧٩١م"[١] فقامت على بنو الجلندى ثورة دفاع، "وقد نجح أئمة الدفاع في مساعيهم بإشغال الجيوش الأموية والعباسية لمدة طويلة كما نجح الإمام محمد بن عبدالله بن أبي عفان من هزيمة آل الجلندى وأعوان العباسيين وإعلان الإمامة الثانية بعمان عام ١٧٧هـ"[٢]؛ وكذلك لانعدام الإمامة التي قامت بعد سنين طويلة منذ وفاة الإمام الجلندى مدة ما يقارب أربع وثلاثون سنة خلت فيها عمان من عرش الإمامة وباتت تنتظر بزوغ فجر جديد، وإمامة محمد بن أبي عفان اعتبرها البعض دفاعا وذلك بسبب الاختلاف في سيرته، "فقيل كان إمام دفاع حتى تضع الحرب أوزارها. . . "[٣] وهذا ما جعلهم يذهبون بالقول أنها إمامة دفاع؛ لأنه سبقها حكم الجبابرة؛ ولأن حربا وقعت بعد البيعة "وقد يبايع إمام الدفاع في بداية الحركة كمبايعتهم لمحمد بن عبدالله بن أبي عفان عام ١٧٧هـ عند تأسيس الإمامة الإباضية الثانية

(١) ملامح من التاريخ العماني، الشيخ الأديب سليمان بن خلف الخروصي، ط٤، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، ص١١١

(٢) نظرية الإمامة عند الإباضية، مالك بن سلطان الحارثي، ط١، ١٩٩١م/١٤١١هـ، رسالة تخرج في الجامعة الأردنية، ص٢٢

(٣) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص١٠٩

بعمان"[1]، وهذا السبب الذي جعل الدعوة ترتحل من البصرة بعد ما ضاقت عليها ذرعا، إلى عمان التي كانت تعد مأمنا للدعوة ومفتاحا لبداية الخير وبساطا أخضرا لأولئك الدعاة، ومن "ثم اخذت الدعوة الإباضية بالانحسار في البصرة بعد قيام الدولة الإباضية الثانية بعمان ١٧٧هـ/٧٩٣م"[2].

وفي عمان أيضا الإمام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب، الذي اعتبر إمام دفاع، "قال أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر: أن بيعة الإمام أبي القاسم سعيد بن عبدالله جرت على الدفاع لا على الشراء، وكان يثني عليه في العلم ما لا يبلغ إلى صفة ذلك"[3] قال صاحب كتاب المصنف رحمه الله تعالى: "وقد كان بعض أئمة عمان مدافعة، مثل سعيد بن عبدالله، وراشد ابن الوليد"[4]، وقيل أن بيعة سعيد بن عبدالله بيعة شراء؛ لأن شراته بقوا على ما هم عليه من قطع الشراء[5].

فكذلك الإمام راشد بن الوليد ﷺ كانت بيعة دفاع، وذلك من خلال الأحداث الملموسة التي وقعت في عصره، وبعد ما خرج سلطان الجور على الإمام، "قال أبو سعيد: كانت بيعة راشد بن الوليد رحمه الله على الدفاع. . . ثم بايعوا الإمام راشد بن الوليد على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الجهاد في سبيل الله وعلى سبيل الدفاع، وعلى اتباع سبيل أئمة العدل قبله قسطا وعدلا. . . فصلى بتروى الجمعات وقبض هو وعماله الصدقات، وجهز الجيوش وعقد الرايات، وأنفذ الأحكام وجرت له في ما شاء الله في المصر

(١) الحجة على من أبطل السؤال، البسيوي، ورقة ٢٢، نقلا من: الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٢٦٨

(٢) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٨١

(٣) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص٢٧٥

(٤) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٨٤

(٥) انظر: تحفة الأعيان، الإمام السالمي، ج١، ص٢٧٩ وكذلك: المصنف، الكندي، ج١٠، ص٨٤

الأقسام"[1] إلى أن خرج سلطان الجور على الإمام وقد يكون هذا السلطان من عمال بني العباس -كما ذكر الإمام السالمي- فخذلوه رعيته بعد أن كانوا قد عاهدوه ولحقوا بالسلطان، ولم يبقى معه إلا القلة الضعفاء من المسلمين، وما كان من الإمام إلا أن جيش جيشا ممن بقي معه من الأنصار لحرب السلطان الجائر، ولكن لقلة العدد والعدة انهزم جيش الإمام وتفرق من كانوا معه وانهزموا وزالت رايتهم، "فاستولى السلطان الجائر على جميع عمان، وبقي الإمام في رءوس الجبال خائفا يترقب فطالع في أمره واستشار، وأخذ بالرخصة من قول الأخيار (أن المدافع تسعه التقية إذا خذلته الرعية)".[2]

وكذلك الإمام عزان بن قيس الذي بويع بيعة دفاع في عهد السلطان سالم بن ثويني، وذلك في أثناء الحروب التي وقعت في مسكد [مسقط حاليا] وما جاورها، وخروجهم عليه بعد أن كان قد وعدهم بإقامة العدل وأملهم بذلك، وبقي يخادعهم مما جعلهم يختارون الخروج، والقيام على السلطان سالم ابن ثويني فاجتمعوا وبايعوا الإمام عزان، وكان بحضور بعض المشائخ ومنهم الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، "وصفة البيعة الموجودة في جوابات شيخنا الخليلي نصها: بسم الله الرحمن الرحيم قد بايعناك على طاعة الله ورسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصبناك إماما علينا وعلى الناس على سبيل الدفاع وعلى شرط أن لا تعقد راية ولا تنفذ حكما ولا تقضي أمرا إلا برأي المسلمين ومشورتهم، وقد بايعناك على إنفاذ أحكام الله تعالى وإقامة حدوده وقبض الجبايات وإقامة الجمعات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وأن لا تأخذك في الله لومة لائم، وأن تجعل القوي ضعيفا حتى تأخذ منه حق الله والعزيز ذليلا حتى تنفذ فيه حكم الله، وأن تمضي على سبيل الحق أو تفني روحك فيه وأن تعطينا على ذلك عهد الله وميثاقه لنا ولجميع المسلمين انتهى

(١) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص٢٨١-٢٨٣

(٢) تحفة الأعيان، السالمي، ج١، ص٢٨٥

لفظ البيعة"[1] وعلى ذلك بايعوه، حتى يدفعوا الجور ويقيموا الحق والعدل ويقيموا أحكام الله تعالى في أرضه، وعلى أن يكون مبدأ الشورى هو الساري في أحكامه بين المسلمين، وعلى الجهاد في سبيل الله تعالى حتى ولو أودى ذلك بحياته، وسار بهم كما صدّقوه، حتى لقي الله تعالى وذهبت روحه في سبيل الله.[2]

ومن أئمة الدفاع الإمام أبي حاتم الملزوزي الذي بويع إمام دفاع، "وذلك عندما أذن عبدالرحمن بن رستم للإباضية في طرابلس بالثورة على عمرو بن حفص والي العباسيين، فقام الإباضية الموجودون ما بين طرابلس وجنوب تونس بمبايعة أبي حاتم بن يعقوب بن لبيب الملزوزي"[3]

وكذلك مبايعة أبي خزر بعد ما قَتل أبو تميم الفاطمي العالم أبا القاسم الوسياني، "فاجتمع من كان حوله على مبايعة أبي خزر الوسياني رحمه الله إمام دفاع لهم، يقود مجاهديهم في سبيل الله حماية لدينهم ولحقوقهم، ولكن الحملة التي قادها أبو خزر منيت بالهزيمة والفشل، لأنها لم يخطط لها من قبل، وإنما كانت أمرا ارتجاليا، دفعتهم إليه الغيرة والحماس كما سجلته المصادر التاريخية"[4]

(١) تحفة الأعيان، الإمام السالمي، ج٢، ص٢٥٩-٢٦٠

(٢) انظر: تحفة الأعيان، الإمام السالمي، ج٢، ص٢٥٣-٣٠١

(٣) الإمامة عند الإباضية، بكير بن بلحاج وعلي، ج١، ص٣٢٠

(٤) شرح غاية المراد، شيخنا الخليلي، ص١٢٠

الفصل الرابع: مسلك الشراء.

المبحث الأول: مسلك الشراء وأثره في الحفاظ على الموجود الإباضي:

المطلب الأول: معنى الشراء لغة واصطلاحاً:

أولاً: معنى الشراء لغة:

جاء في لسان العرب: "شري: شرى الشيء يشريه شرى وشراء واشتراه سواء، وشراه واشتراه: باعه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: ٢٠]، أي باعوه. وقوله ﷻ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٦]؛ قال أبو اسحق: ليس هنا شراء ولا بيع ولكن رغبتهم فيه بتمسكهم به كرغبة المشتري بماله ما يرغب فيه، والعرب تقول لكل من ترك شيئا وتمسك بغيره قد اشتراه.

والشراة: الخوارج، سموا بذلك لأنهم غضبوا ولجوا وأما هم فقالوا نحن الشراة لقوله ﷻ: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، أي يبيعها ويبذلها في الجهاد وثمنها الجنة، وقوله تعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؛ ولذلك قال قطري بن الفجاءة وهو خارجي:

رأت فئة باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

التهذيب: الشراة الخوارج، سموا أنفسهم شراة لأنهم أرادوا أنهم باعوا أنفسهم لله، وقيل: سموا بذلك لقولهم إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجمة حين فارقنا الأئمة الجائرة، والواحد شار ويقال منه: ترى الرجل. وفي حديث ابن عمر: أنه جمع بنيه حين اشرى أهل المدينة

مع ابن الزبير وخلعوا بيعة يزيد أي صاروا كالشراة في فعلهم، وهم الخوارج، وخروجهم عن طاعة الإمام؛ قال: وإنما لزمهم هذا اللقب لأنهم زعموا أنهم شروا دنياهم بالآخرة أي باعوها. وشرى نفسه شرى إذا باعها"[1].

وجاء في المعجم الوسيط:

"(تشرى) القوم: تفرقوا. ودخلوا في زمرة الشراة. والشراة: فرقة من الخوارج"[2].

والملاحظ أن هذا اللقب لم يسبق إليه أحد من قبل سوى الإباضية، فهم الذين شروا أنفسهم لله تعالى بعد ما لزم أن يهجروا الدنيا التي بات العيش فيها لا يطاق ولا يحتمل، وبعد أن هُجر الحق ومالت الأنفس للدنيا، فقد تفرد الإباضية بهذا المسلك الجليل، حيث إن "الشراء من أخص أوصاف الإباضية وأول من قام به أبو بلال مرداس بن حدير ثم أخذ به أصحابنا بعمان في أطوار من الإمامة وفترة منها حتى أن من الحق إذا أطلق الشراء فلا يتصرف إلى سواهم ممن ينسب إليه الخوارج ولم يعرف الشراء قط في غيرهم وإنما تخليط الحقائق بالهوس أخفى الحق إلى أن كاد ينطمس ولن يستطيع كاتب محقق أن يجد الشراء في غير الإباضية مهما حاول فخذ الحق المبين، ودع الشك والرّين فإذا وجدت الشراء منسوبة لغيرهم فاسأل التاريخ الصادق فعنده الخبر اليقين.

رجال شروا الله عقد ضميرهم فلم يختلبهم في الحياة سرورها"[3]

وأما ما تزعم به كتب اللغة على أن الشراة هم الخوارج وأنهم غضبوا ولجوا فليس من الصحة بمكان، وهذا تدليس على تاريخ الإباضية وخلط ومزج بين خير وشر وتشويه للحقيقة الناصعة، فالشاري "لقب يطلقه الإباضية على الذي يسلك مسلك الشراء، ويُجمع على شُراة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، م٨، ص٧٠-٧١

(٢) المعجم الوسيط، ج١، ص٤٨١

(٣) من الهامش: تعليق: أبو إسحاق ابراهيم أطفيش الجزائري، عقيدة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧٣

ومن أبرز الشراة: أبو بلال مرداس بن حدير، وأبو حمزة المختار بن عوف الشاري. وقد أطلق بعض المؤرخين والجغرافيين خطأ لفظ الشراة على الخوارج والإباضية دون تمييز بينهما"[1] ومن ذكرنا من الشراة كأبي بلال وأبي حمزة فنحن نقطع بالقول أنهم من الإباضية ولا يوجد قول أنهم من الخوارج، وحتى إن وجد من يقول أنهم من الخوارج فقوله مردود، حيث أن الخوارج لم ينهجوا منهج الإباضية بل خرجوا عن طورهم بالكلية، والإباضية كانت فرقة معتدلة و لم تعادي أي دولة تعايشت تحت ظلها، و لم ترفع السيوف ما دامت الحرب قد وضعت أوزارها، فقد كان مبدأها السلم، وهذا ما يفسر بقاء أسس الإباضية لقرون طوال، واندثار الخوارج إنما كان؛ بسبب خروجهم عن جادة الحق وليسوا شراة لله، بل يمكن القول أنهم كانوا محاربين أي لهم حكم الحرابة، والإباضية هم الشراة فقط فوجب التنبيه على ضرورة التمييز والتفريق.

ثانياً: تعريف الشراء اصطلاحاً:

"والشراء: مصدر مقصور ممدود من الأضداد استعير لما ينال من الثواب على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧]، أي يبيعها ".[2] والشراء "كلمة تستخدم في الكتابات الإباضية تعبيرا عن التضحية بحياة المرء في سبيل الله لبلوغ الجنة"[3] ويكون الشراء عند عدم التمكن من الظهور –وهو ظهور الحق– لمانع منعه وهو العدو، كأن "يكون العدو متسلطا عليهم، يترل بهم المصائب ويسعى إلى صدهم عن الهدى، ولا يبالي بانتهاك الحرم وإضاعة الحقوق ونهب الأموال، فتنبري طائفة من المؤمنين لمحاولة الحد من هذا الفساد، لإقلاق العدو ومحاولة مباغتته تأديبا على تصرفاته"[4] أو تعذر الدفاع، "فإذا

(١) معجم مصطلحات الإباضية، ج١، ص٥٠٩

(٢) عقيدة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧٣

(٣) دراسات عن الإباضية، د عمرو النامي، ص٢٧٨

(٤) شرح غاية المراد، شيخنا الخليلي، ص١١٩

ضعف المسلمون حتى عن هذا الموقف، وأصبحوا لا يستجيبون لداعي الثورة، ويفضلون طريق السلامة، ويركنون إلى الدعة والاستراحة، جاء المسلك الثالث من مسالك وهو الشراء"[١] فيجوز حينئذ الشراء، "عندما يضعف المسلمون حتى عن موقف الدفاع، ويحكم العدو أو السلطان الجائر سيطرته، يكون الشراء حقا للمسلمين"[٢]

فهذا الدين العظيم الذي بدد الظلم، – وهذه منة على كل مؤمن من الله بالهداية لأمة محمد – وأزال بكارة الجاهلية، وأسقط أصنام الكفر، وأخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، وسحق كل ما لم يقبله عقل أو دين، حري بكل مسلم أن لا يتردد في الدفاع عنه ولو بشراء الروح لهذا الدين والإبقاء عليه وتثبيته والفداء له روحا وجسدا.

ويكون الشراء في المرحلة التالية بعد الدفاع، و"تتفق هذه المرحلة مع الدفاع من حيث الأهداف المتعلقة بالإطاحة بالسلطان الجائر، وتصحيح الأوضاع السياسية والاجتماعية، وكذا المطالبة بتنفيذ أحكام الشريعة، لكن تختلف وإياها في أسلوب التغيير وطريقة تنفيذ العمليات، حيث الشراة في تحركاتهم على الحيلة والمباغتة والعنف من أجل تغيير المنكر وتصحيح الأوضاع في أوساط الدولة الفاسدة"[٣]

ويكون الشراء عند عدم التمكن من الظهور –أي إظهار الحق– بعد استنفاذ المسلك الأول وهو الظهور، والمسلك الثاني مسلك الدفاع، وذلك لمانع وهو العدو وهم أعداء الدين الذين يتصدون لأهل الحق والدين يريدون كسر شوكته وإماطته من مكانه الأصل، فيكسرون قوى الدين وشوكة المسلمين بالإفساد وانتهاك الحرم وتضييع الحقوق وتفويت المنافع والنهب والسلب

(١) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الأولى، ص٧٧
(٢) الإمامة عند الإباضية، بكير بن بلحاج وعلي، ج١، ص٣٢٣
(٣) الفكر السياسي، عدون جهلان، ص١٨٩

دون مبالاة ولا أدنى تقدير واهتمام ومراعاة بما شرع الله من أوامر ونواهي ويتعدون حدود الله، ويصبح الحال بأن لا يكتفي المؤمنون بنكران المنكر بالقلب والسكوت عن ما يحدث، فيكون الشراة السد والحصن المنيع، وأداة بث الرهبانية والقلق للعدو، وإخافته ومحاولة ردعه وإضاعة كل فرصة تسنح له لتأديبه وإثارة الفوضى في وجهه، ومحق خططه الدنية وردها في كيده وإبطال باطله وإزهاق فساده في خطه ووجهه الغشيم.

وعلى هذا نقول أن الشراء هو مسلك يدخله المسلمون بعد أن يضعفوا وتتعذر لهم البيعة الكبرى وبيعة الدفاع، فتكون بيعة بينهم وبين الله تعالى على أن يتعاهدوا في ما بينهم أن يقوموا لله شهداء يبيعون الحياة الدنية بالحياة العلية، ويختارون لهم إماما يقودهم إلى الحق الذي لأجله بايعوا، ويركنوا إلى العدو على شكل غارات وثورات، وأن يفسدوا كل مخطط يؤدي إلى فساد بالمسلمين، فهو يهدف إلى نصرة المظلومين وإفساد مخطط الظلمة قدر المستطاع، ويكون تصديا للعدو بأي وجه يمنع تقدم مسيره الغاشم الظالم المستبد، وأن لا يكون أمامهم سوى الموت حتى لا يضعف كاهلهم في صد الظالم، ولهذا فقد اعتبر من باع نفسه لله واشترى الجنة أن لا رجوع له في بيعته، ولا تنتهي إلا بموته أو انتصاره.

المطلب الثاني: أدلة الشراء من الكتاب ومن الأحداث التاريخية:

يقول الله ﷻ في الكتاب العزيز ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١]، وقوله تعالى في الآية، إن الله اشترى من المؤمنين، أي قبل أرواحهم التي باعوها لله خالصة لوجهه الكريم. "ويعني كذلك أن يشتري الإنسان نفسه

من النار أو يشتري الجنة بنفسه".[1]، وفي هذه الآية الكريمة بيان لعلاقة المسلم مع ربه بعد أن يكون تحت لواء وراية وانقياد الإسلام، فهي "صفقة بين متبايعين. . الله –سبحانه– فيها هو المشتري والمؤمن فيها هو البائع. فهي بيعة مع الله لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ولا في ماله يحتجزه دون الله –سبحانه– ودون الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله. فقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نفسه وماله مقابل ثمن محدد معلوم، هو الجنة. . . والذين باعوا هذه البيعة، وعقدوا هذه الصفقة هم صفوة مختارة، ذات صفات مميزة. . منها ما يختص بذوات أنفسهم في تعاملها المباشر مع الله في الشعور والشعائر؛ ومنها ما يختص بتكاليف هذه البيعة في أعناقهم من العمل خارج ذواتهم لتحقيق دين الله في الأرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام على حدود الله في أنفسهم وفي سواهم. . "[2]

فالشراة هم الذي يشرون أنفسهم رخيصة لله تعالى وحده، ويشرون الحياة الدنيا الفانية بالآخرة الخالدة الباقية، يقول الله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ۞ ﴾ [النساء: ٧٤]، ولفظ فليقاتل كما جاء في الآية الكريمة أمر لإعلاء دين الله بشراء النفس لله من أجل الله وبيعها في سبيله، وبيع الدنيا رخيصة لأجل الآخرة الباقية. وهنا يعد الله ﷻ لمن يشري نفسه لرضوان الله، ساعيا من أجل دينه، مخلصا بيعته لربه، قاضيا في الخير ناهيا عن الشر، مقاتلا للحفاظ على فطرته التي فطره الله عليها، بائعا روحه مقابل أن يربح الآخرة والثواب والأجر العظيم، وفي هذا ترغيب للجهاد وبذل الإنسان ما يستطيع من أجل الدين، وذلك كله من أجل

(١) معجم مصطلحات الإباضية، ج١، ص٥١٠

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، م٣، ط٣٩، ٢٠١١م/١٤٣٢هـ، دار الشروق مصر القاهرة، ص١٧١٣-١٧١٤

إعلاء دين الله القويم على نهج سيد المرسلين الذي لم يكن هناك من أحد أحرص منه في السمو بهذا الدين، وكيف كان أصحابه الكرام يلقون أنفسهم في سبيل الله، ولدين الله ولرسوله ﷺ.

يقول قطب الأئمة رحمه الله مفسرا هذه الآية الكريمة: "إن تأخر المبطئ أو أخر غيره فليقاتل المخلصون، الذين يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة أو قد تأخروا أو أخروا غيرهم فليتركوا ذلك، ويقاتلوا، ويتركوا إشراء الحياة الدنيا بالآخرة، ويلتحقوا بالمخلصين. . . فالواجب على المجاهد أن يقصد بجهاده إعلاء الدين ويثبت حتى يقتله العدو شهيدا أو يغلب عدوه، ولا يكون غرضه الغنيمة، ولا أن يكون مقتولا، وفي القتال إعزاز الدين قتل أو غلب، وفي موته إعزاز نفسه بالشهادة"(١)

وفي ضوء هذه الآية الكريمة، يقول الشهيد سيد قطب، صاحب كتاب التفسير في ظلال القرآن: "بهذه اللمسة يتجه المنهج القرآني إلى رفع هذه النفوس؛ وإلى تعليقها بالرجاء في فضل الله العظيم، في كلتا الحالتين. وأن يهوّن عليها ما تخشاه من القتل، وما ترجوه من الغنيمة كذلك! فالحياة أو الغنيمة لا تساوي شيئا إلى جانب الفضل العظيم من الله. كما يتجه إلى تنفيرها من الصفقة الخاسرة إذا هي اشترت الدنيا بالآخرة ولم تشتر الآخرة بالدنيا (ولفظ يشري من ألفاظ الضد فهي غالبا بمعنى يبيع) فهي خاسرة سواء غنموا أو لم يغنموا في معارك الأرض. وأين الدنيا من الآخرة؟ وأين غنيمة المال من فضل الله؟ وهو يحتوي المال-فيما يحتويه- ويحتوي سواه؟! "(٢) فقد رفع الله تعالى من يشري نفسه منزلة عظمى ومكانة كبرى؛ لأنه يقاتل في سبيل الله ويبيع الروح التي ملّكه الله تعالى إياها له ﷻ؛ لأنه هو الذي يقبضها وله أمرها، فحري بمن يعود بها إلى خالقها وفي سبيله أن يفوز في الدارين بإذن الله تعالى.

---

(١) تيسير التفسير، قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش، ج٣، ط١، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ، ص٢٦٩

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، م٢، ص٧٠٨

ويقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة: ٢٠٧]، فمن يبيع نفسه لله تعالى فقد ابتغاء رضى الله تعالى، وهذا الشراء يكون "بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يصاب بضرر أو يقتل، فالشراء لنفسه بَذْلُها، سلمت أو تلفت أو أصابه ضر"(١) وتفسير قول الله تعالى بأنه رؤوف بعباده في الآية السابقة اعتبرت رأفة ورحمة وعطفا وأجرا وثوابا ومنة من الله تعالى عليهم، "إذ أرشدهم إلى مثل هذا الشراء المورث للثواب الوافر، وجعل النعيم الكثير الدائم جزاء لعمل قليل منقطع، و لم يكلف ما لا يطاق أو ما فيه عسر، وأنه يغفر للتائب ولو عبد الصنم ألف عام ومات عقب توبته، وأن المال والنفس له ويشتري ملكه بملكه"(٢)

وأما المقابل لمن يشري الدنيا بالآخرة، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾ [البقرة: ٨٦]، فعبرت الآية عما يلقاه من اشترى الدنيا وباع الآخرة و "في الآية نداء عليهم بسوء تفكيرهم في مصالحهم، فقد رضوا أن تكون سعادة الآخرة مع خلودها ثمنا لمصالح دنيوية يسعون إليها، وهي مصالح وهمية لا تكاد تدرك حتى تفوت ولا تحرز حتى تتلاشى، فإن تقتلهم لم يدفعهم إليه إلا حب المصلحة العاجلة وإيثار حظوظ النفس الفارغة على واجبات الدين"(٣) فعلى المؤمن إذا دخلته الغيرة أن يودع الدنيا ويخلفها وراء ظهره، ويدرك أنها المتاع الزائل وأن ثواب الله هو الباقي والأبدي، فيقدم الدين على كل شيء، ويفدي روحه له ولا يقدم الدنيا ومصالحها التي لا تبقى حتى تزول وينتهي

(١) تيسير التفسير، قطب الأئمة اطفيش، ج٢، ص٩

(٢) تيسير التفسير، قطب الأئمة اطفيش، ج٢، ص١١

(٣) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، ج٣، ١٩٨٨م/١٤٠٩هـ، مكتبة الاستقامة، ص٥٣٩

أثرها، وبهذا لا يكون تحت نطاق الوعيد الذي أعده الله تعالى في من يشري الدنيا ويبيع الأخـــرى بالعذاب وعدم النصر، فلا تنفهم الشفاعة يومئذ.

وكذلك من سنة الهادي محمد، والمرشد السياسي الخبير، وأصحابه الكرام المهتدين، فقد تبين ما وقع في صلح الحديبية من الاتفاقات، وقد كان من ضمن تلك الاتفاقات أن يرد الرسول ﷺ من جاء من قريش مسلما، وهذا ما كان له دور في ظهور استنكار من المسلمين، وظهور الحرج والغضاضة عليهم وغضبهم وعدم رضاهم بما وافق عليه النبي الكريم، ولكن الله تعالى أعلم وأدرى، ورسوله يوحى إليه من ربه، فقد كان له نظرة ثاقبة وبعد تمعن في قبول هذا العهد الذي يظهر للوهلة الأولى أنه ظلم وتعد على المسلمين، ولكن كان مصلحة وخير، حيث إنه وقع الشراء، وذلك بمرابطة من ردهم النبي بعد صلح الحديبية فلا يذهبون لقريش، ولكن يحكمون في مكان فيهاجمون القوافل.

وذلك لما جاء أبو بصير عتبة ابن أسيد إلى المدينة وكان ممن حبس بمكة، فأخبره النبي أنّا قد أخذنا العهد والميثاق، فلما تيقن أنه سيرده إلى مكة كما كان محبوسا مع المسلمين الآخرين، خرج "أبو بصير حتى نزل بناحية ذي المروة على ساحل البحر على طريق قريش إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة ذلك فخرجوا إلى أبي بصير، منهم أبو جندل، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا، فضيقوا على قريش يعترضون العير تكون لهم، فأرسلت قريش إلى النبي، ﷺ، يناشدونه الله والرحم لّما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن، فآواهم رسول الله، ﷺ "[1] فقد كانوا أداة تخويف وتهديد للفئة الضالة من قريش، ومصدر رعب على قوافلهم وتجارتهم، وهذا هدف الشراة، حيث إن وجودهم لا يكون محددا في موطن واحد، فبذلك حيثما كانوا يرعدون ويبرقون أمام ناظر العدو أينما حلّ وارتحل حتى لا يستقر الحال معه أمنيا ونفسيا. وفيها كانت

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م٢، ص٢٠٦

عدة من سرايا وغزوات: منها سرية عكاشة بن محصن في أربعين رجلا إلى العَمْق. . ومنها سرية محمد ابن مسلمة، أرسله رسول الله، ﷺ، إلى بني ثعلبة بن سعد،. . ومنها سرية أبي عبيدة ابن الجراح إلى ذي القَصة في أربعين رجلا. . ومنها سرية زيد بن حارثة بالجموم، وكذلك سريته إلى العِيص أيضا، وكذلك إلى الطّرَف إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا، وسريته إلى حِسْمى، وكذلك إلى وادي القُرى،. . وسرية عبدالرحمن ابن عوف إلى دُومة الجندل، وسرية علي بن أبي طالب إلى فَدَك في مائة رجل، وسرية زيد بن حارثة إلى أم قِرْفة، وسرية كُرْز بن جابر الفِهْري إلى العرنيين الذين قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل، فبعثه رسول الله في عشرين فارسا ا. هـ[1]

وكذلك قيام أحد الصحابة وهو البراء بن مالك بتسوّر الحديقة التي كان أغلق بابها مسيلمة، فبعد أن دخل بنو حنيفة الحديقة وأغلقوها، "قال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة. فقالوا: لا نفعل. فقال: والله لتطرحُني عليهم بها! فاحتُمل حتى أشرف على الجدار فاقتحمها عليهم وقاتل على الباب وفتحه للمسلمين ودخلوها عليهم فاقتتلوا أشد قتال، وكثر القتلى في الفريقين لاسيما في بني حنيفة، فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة"[2] فهذا بيع للروح من أجل القتال في سبيل الله، والجهاد في دينه لرفع شعار الإسلام، فما كان من هذا الصحابي أن يبيع نفسه بأن يلقى به من أعلى الجدار وأعداء الإسلام يملؤون الحديقة بالداخل، حتى أن أصحابه مانعوا فكرته في بادئ الأمر ولكن لما لقوا منه الإصرار وتيقنوا صادق نيته، ألقوه فدخل عليهم وقاتلهم وفتح الباب للمسلمين ودفعوا شرهم، ولهذا دليل خالص بحب الله تعالى وبيع النفس من أجل الله، وهذا ما بناه النبي ﷺ ورباه في نفوس أصحابه رضي الله تعالى عنهم.

(١) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م٢، ص٢٠٦-٢١٠

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م٢، ص٣٦٤

وأما من حيث الواقع، فالشراء هو تعبير عن الكرامة وعن صون النفس والدين، وتعبير عن عدم الرضا بما هو واقع، ولذلك تجد إذا كان هنالك حاكم خرج عن النظام الإسلامي المعروف والمتبع وجود فئة لا ترضى بذاك الحال، وهذا يسلم به عقلا وواقعا، حيث إن الإسلام حمى الإنسان، وأن الله تعالى كرم بني آدم، ومن حاد عن الدين الحنيف خرج عن طور الكرامة، فإذا كان الحاكم غير متبع للشرع فهو قد خرج عن دائرة الكرامة، وبذاك فقد يسلب كرامة من يسوسهم ويحكمهم ولن يبالي بحقوقهم وحتى برقابهم، فما أن يكبر الأمر وتعظم المفاسد حتى يكبر ويهول الأمر بخاطر هذه الفئة فتتحول من كونها مستنكرة بالجنان إلى مدافعة ومقاتلة ومضادة بالبنان، وبذلك تخرج بائعة روحها وهي تدرك أنها فئة قليلة اصطفاها الله إما أن تزهق أرواحها أو أن يبدل الله إلى ما يشاء ويختار، فتعادي وتثور وتهاجم وتباغت وتفسد مخطط عدوها، وهذه فطرة الإنسان المسلم التي فطره الله عليها ولا تبديل لها، وهذا هو الشراء الذي أثنى الله تعالى في كتابه من يشرون حياتهم ابتغاء مرضاة الله، وما هو الثواب المحصول منه.

وكذلك أصبح ما يعرف في الوقت الحالي بالانقلاب، وذلك عند وجود خلل في نظام الحكم، فتكون هناك ثورة تعنى بالإصلاح، وترى بالخروج على الحاكم، وتكون حجر عثرة أمام تقدمه ومخططه، فتحاول نهش سلطته وحكمه وتكون مصدر خوف ورعب له وافشال لأحكامه الظالمة الغير شرعية، وهذا مشهود ومعروف واقعا، حيث إن كثيرا من الدول التي سقطت كانت بداية شرارتها ثورة الشراة، ثم يأتي دور الشعب في الخروج ورفع راية الظلم وعدم القبول بالحاكم، وهذا ما كان ليحدث لولا وجود فئة الشراة التي كان هدفها الإطاحة بنظام الحكم وقلبه إلى نظام شرعي يتفق مع ما أنزله الله على نبيه محمد ﷺ، فعند إذن يقع قلب السلطة واسقاط السلطان ويركن المسلمون إلى مبايعة إمام لهم، وينتهي دور مسلك الشراء.

المطلب الثالث: أحكام الشراء وشروطه:

بعد أن تقوم البيعة على الشراء، فإن هنالك أحكام تترتب على الشراة، فمنها: أن الشاري ليس له الرجوع عن بيعته "وليس لمن بايع على الشراء تراجع إلى أن يلقى الله وحده، لأنه باع على الموت، ولو بقي نفسه"(١) وذلك؛ لأنه قد عاهد الله تعالى، والعهد مع الله لا يقطع أمره إلا الله، فمن عاهد الله أن يبيعه روحه فعليه الوفاء بذلك لأنه؛ "إذا خرج الشاري وقد باع نفسه لله فعليه الوفاء"(٢) حيث قال الله ممتدحا في من يشري روحه ويفي بوعده: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]، وفي هذا الرأي مقصد قد يكون من أجل بيع الدنيا بيعة نهائية لا رجعة فيها، "قال أكثر أصحابنا: إذا لقى الإمام الحرب لم يجز له أن يهرب عنها ولا يصفح بوجهه موليا عن العدو، ومع استظهار العدو عليه وعلى أصحابه وظفره بهم وإن لقى الإمام وحده"(٣)، فما دام قد دخل الحرب "لم يكن له أن يولي دبره عن الحرب. ولم يسعه الخروج منه، إلى أن ينصره الله على عدوه، أو تفنى روحه، كما فعل الإمام الجلندى بن مسعود وهلال بن عطية الخراساني، رحمهما الله وغفر لهما، لما قتل أصحابهما شاور الإمام الجلندى رحمه الله هلال بن عطية. فقال له: على ما بلغنا أنت إمامي، فكن أمامي. فحملا على القوم وجاهدا في سبيل ربهما حتى قتلا"(٤)، وكذلك من أجل بيان قوة المسلمين وشدتهم على عدوهم وتعبيرا له على عدم الرضى والقبول، والسخط بنظامه الفاسد، فيركنوا إلى الشراء "فحينئذ لا رجوع فإما النصر وإما الموت"(٥) وليعلم العدو أنهم على الحق، ومن كان في الحق فلن يعود إلى غيره لأنه يكون مرتبطا بالعقيدة، فالشراء "ذا معنى أكثر عمقا وتمييزا لدى الإباضية الذين وضعوا لإمامة الشرى شروطا قاسية أخذت طابعا عقائديا ولعل من أهم

(١) شرح غاية المراد، شيخنا الخليلي، ص١٢٠

(٢) الإمامة عند الإباضية، بكير بن بلحاج وعلي، ج١، ص٣٢٣

(٣) كتاب الجامع، الإمام العلامة أبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة البهلوي، ت: عيسى البارون، ج٢، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، ص٤٨٩

(٤) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس الشقصي، ج٥، ص١٥٦

(٥) التجربة السياسية عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ص٤٩

خصائصها، الموت في ساحة المعركة فلا يجوز للإمام الشاري الهرب أو التخلي عن ميدان المعركة حتى ينتصر أو يقتل في سبيل الله"[١] فبذلك يكون الإنسان غير مبال في أن يلقي روحه تستشهد في سبيل الله تعالى، فلا يفكر في التخاذل ولا التواهن أو يترك لنفسه أن تستعطفه على عدم التحمل والجلد في الجهاد؛ لأن مهمته واضحة، فـ "ليس إمام الشراء سوى تحقيق الإمامة أو التضحية. ذلك أن درب التضحية(الشراء) هو درب الرجال الذين أسلموا أرواحهم إلى الله تعالى في سبيل جناته. والذين لا يتوقفون إلا بعد أن يصبح أمر الله ظاهرا(بدرب الظهور)، ولو ماتوا من أجل ذلك"[٢]، وعلى هذا فإن دخلوا في مسلك الشراء "فإنهم يخرجون من ديارهم إلى الأماكن التي يمكن أن يتم فيها العمل الفدائي، ولا يعودون إلى أهلهم حتى يهلكوا عن آخرهم" [٣]، وكذلك "الإمام الشاري لا يحل له ترك رعيته، ولا الرجعة عن الشراء الذي أوجبه على نفسه لله. وعليه الجهاد في سبيل الله، أو يرزقه الله الشهادة، كان في قلة أو كثرة"[٤] ويوضح الدكتور حسين غباش، الحالة التي يكون فيها إمام الشراة، ويقول: "إنه الإمام الذي لا يمكنه التراجع حتى لو تخلت عنه جماعته. ويجب عليه أن يثابر على تحقيق الإمامة أو يموت. إنها حالة الجهاد الديني والسياسي المطلقة لدى الإباضية"[٥]، ولكن توجد آراء قد تكون سعة ومساحة لمن أراد انهاء البيعة، منها: "ولهم الرجوع إذا نقصوا عن ثلاثة ولو أوجبوا على أنفسهم أن لا يرجعوا ولو نقصوا عنها في قول؛ ولهم الرجوع متى شاءوا إذا اشترطوا هذا ولو لم ينقصوا عن ثلاثة؛ ولهم شرطهم مطلقا"[٦]، أي لم يحدد العدد، وذلك حسب ما يروه بأنفسهم ويعتبرونه عليهم. فتتحول البيعة من الوجوب إلى الجواز؛ لأنهم "إن نقصوا عن ثلاثة كانوا في حل من أمرهم"[٧]، ومن المعروف "والمشهور في المذهب: أن الشاري لا تجوز له التقية، وأجازها له المحقق الخليلي رحمه الله تعالى عند الحاجة إليها،

(١) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٢٦٩

(٢) عمان الديمقراطية الإسلامية، د حسين غباش، ص٦٨-٦٩

(٣) الإمامة عند الإباضية، بكير بن بلحاج وعلي، ج١، ص٣٢٥

(٤) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس الشقصي، ج٥، ص١٥٦

(٥) عمان الديمقراطية الإسلامية، د حسين غباش، ص٦٩

(٦) شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة، ص١٩٦

(٧) شرح غاية المراد، شيخنا الخليلي، ص١٢٠

معللا ذلك بأن ما أوجبه على نفسه ليس أوْجب مما أوجبه الله عليه"[1]، فبذلك "لا يجوز لهم الرجوع إلى منازلهم حتى ينقصوا عن ثلاثة رجال"[2]، يقول العلامة الشقصي: "إن الشاري وغير الشاري تسعه التقية، عند زوال أمره واستيلاء أهل الجور على رعيته. وإنما لا تسعه التقية عند علو أمره وظهور دعوة المسلمين"[3]، فإذا كان قد جاز للإمام أن يرجع أثناء الحرب إذا توقع الهلاك وقد يكون معه العدد الكثير، فمن باب أولى أن يجوز لمن هم أدنى في العدد وتأكدوا بفنائهم، يقول العلامة ابن بركة: "وإذا باشر الإمام الحرب ولقيها بأصحابه ثم خاف القتل على أصحابه ورأى القتل يسرع فيهم ويأتي عليهم حتى يفنوا أو يقلوا عن عدوهم ويضعفوا عنه جاز له الهرب عنه ببقية أصحابه والامتناع عنهم بما يقيهم به من جبل أو بلد أو ما يمنعه إلى أن يجد الأنصار على عدوه ولا يقيم بأصحابه للقتل والحياة لهم أنفع وللمسلمين وأرجأ لبقاء الدولة. . . لأن الله جل ذكره منع الإنسان أن يقتل نفسه ويلقي بها إلى التهلكة، وأمره بإحيائها بقوله جل ذكره: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩] والله أعلم"[4] ولهذا الرأي كذلك مصلحة رآها من قال بها، حيث "يمكن لهم ذلك إذا بقي منهم ثلاثة، وذلك ليكونوا نواة أخرى لمواصلة العمل الفدائي".[5] فتجوز التقية لتجديد الجهاد وشحن القوى وزيادة المناصرين بعد أن كادوا ينفدوا ويتلاشوا وينتهي أمرهم، "قلت: فالإمام الشاري تسعه التقية؟ نعم إذا خاف على نفسه القتل وسعته التقية ويكون العمل في طلب الناصر والمكيدة إلى أن يجد ذلك ويصيب أعوانا. . . قلت: أليس قد قيل إن التقية لا تسع الأئمة؟ قال: نعم، وكذلك تأويله عند القدرة والأعوان على الخوف على النفس وقلة الأنصار"[6]

(١) شرح غاية المراد، شيخنا الخليلي، ص١٢٠

(٢) تعليق: الشيخ إبراهيم اطفيش، عقيدة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧٤

(٣) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس الشقصي، ج٥، ص١٥٦

(٤) كتاب الجامع، الإمام ابن بركة، ج٢، ص٤٨٩-٤٩٠

(٥) الإمامة عند الإباضية، بكير، ج١، ص٣٢٥

(٦) السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، د سيده إسماعيل كاشف، ج٢، ص٢١٨

إن الشراة ليس لهم وطن إلا حيث يشهرون سيوفهم، فذاك هو موطنهم، "ويصلون التقصير في وطنهم وأمياله والتمام في غيرها، وكذا أزواجهم وقيل التمام ما لم يخرجن منها، وكذا كل من تعلق إليهم من العبيد وأزواج العبيد وأزواج الأطفال"(١)، حيث اعتبر موطنهم هو مكان مغاراتهم وموطن قتالهم، فلذا كان موطنهم الأصل ليس موطنا لهم بل يعدون غرباء؛ لأنهم باعوا كل شيء تركوه وخلفوه قبل البيعة، فتكون صلاتهم فيه سفر حتى وإن كانت في عقر دارهم ومسكنهم، "ويصلون التقصير في منازلهم والتمام إذا خرجوا"(٢)، وأينما كان هدفهم وعدوهم كان هنالك موطنهم، فيصلون بالتمام، وعلى هذا فيتبعهم من كان يتبعهم في الحال الاعتيادي قبل الدخول في الشراء.

وأما حكم إمام الشراة في هذا المسلك، أنه "إذا كان عدد الشراة معه أكثر من أربعين فيجب عليه تطبيق الأحكام الشرعية في جباية الأموال وإقامة الحدود، كالإمام الشاري أبي بلال مرداس وطالب الحق وأتباعه الشراة، كأبي حمزة الشاري وغيره من قادتهم" (٣). وكذلك عليه "أن يبايع على طاعة الله وطاعة رسوله، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله"(٤) ويذكر الإمام السالمي حكم الشراة بقوله: "وفي الأثر أن لجماعة المسلمين جميع ما للإمام من إنفاذ الأحكام وإقامة الحدود، وقيل لهم جميع ذلك إلا الحدود فلا يقيمها إلا الإمام"(٥)، ويقصد هنا بجماعة المسلمين الشراة. وأما حكم الشاري وما عليه من حقوق لله تعالى و للإمام، فهو "أن تطيعه إذا أمرك، وتنفر معه إذا استنفرك، ولا تأخذك في الله لومة لائم. وعليك ما على الشراة

(١) شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة، ص١٩٧

(٢) تعليق: الشيخ إبراهيم اطفيش، عقيدة التوحيد وشروحها، الشماخي والتلاتي، ص٧٤

(٣) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٢٧٠

(٤) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٦٢

(٥) تحفة الأعيان، الإمام السالمي، ج٢، ص٢٣٨-٣٨٩

الصادقين"[1] ويجوز على من كان في حكم الشاري أن "يقطع المواصلات على الطغاة، أو يهدم الجسور التي تمر بها القطر الظالمة، أو يقتلع أسس القلاع التي تجمع ذخيرة الجبابرة"[2].

والشراء لا يتم بأقل من أربعين رجلا، حيث "يخرج أربعون رجلا فصاعدا، أو يكون الأكثر رجالا والأقل نساء، كما تم أربعون بالنساء في دار الأرقم على الصفا، ومنهم عمر آخرهم ﷺ فأنزل الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال:٦٤]، نزلت في مكة وجعلت في سورة مدنية"[3]، فاعتبر الإباضية سنة الرسول في ما فعله شرطا لهم في مرحلتهم هذه، بدليل "وكان رسول الله ﷺ في دار أبي الأرقم عند الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلا مسلما. وكان آخرهم إسلاما عمر بن الخطاب، فلما تكاملوا أربعين رجلا خرجوا"[4]، فبعد أن أسلم عمر بن الخطاب ﷺ واكتمل النصاب بأربعين رجلا اعتز به المسلمون، و"امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة حتى عازُّوا قريشا [غلبوهم]، وكان عبدالله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة، حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه"[5]. فعندما وصلوا هذا العدد، جاز لهم الخروج وكذلك فعلوا، لذلك يشترط أن يكون عددهم لا يقل عن أربعين و"أصبح هذا الرقم فرضا لازما لكل من يريد الشراء والثورة على الحكم القائم، وأما إذا قل العدد عن هذا الرقم فلا تجوز الثورة"[6]، ويجوز حتى لو أكملت النساء العدد. وأما قول الدكتور حسين غباش في شرط اجتياز هذه المرحلة والدخول تحت مظلتها، أنه "يجب أن

(١) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٦٢

(٢) الإباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، الحلقة الأولى، ص٧٧-٧٨

(٣) شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة، ص١٩٦

(٤) من الهامش: السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، م١، المكتبة العلمية بيروت لبنان، ص٢٥٣

(٥) السيرة النبوية لابن هشام، م١، ص٣٤٢

(٦) من الهامش: نظرية الإمامة عند الإباضية، مالك الحارثي، ص٢٤

يتفق أربعون عالما على ضرورة الانتقال إلى حالة الشراء وأن يكونوا مستعدين، بالتالي، للإسهام في الثورة على السلطة ولا يمكن في أي حال من الأحوال، اتخاذ هذا القرار دون قبول أربعين منهم. لماذا أربعون؟ لأن الرسول لم يجهر برسالته إلا مصحوبا بأربعين رجلا وقد أكمل هذا العدد عمر بن الخطاب. وقرار الرسول هذا أصبح جزءا من السنة التي يستند إليها الإباضيون كمبدأ دستوري ثابت"[1] فالعدد مسلم به، ولكن القول أن يكونوا علماء فلا نسلم به، ولا يوجد في كتب الإباضية من يشترط أن يكونوا أربعين عالما؛ لأنه قد يستحيل الأمر أن يجتمع أربعون عالما في بلد واحد؛ لأن في وجودهم أصلا قد لا يحدث الظلم؛ لأن العلماء إن كانوا كثرة لن تغلبهم الملوك، وكلمتهم مسموعة ومطاعة غالبا مع وجود العدو، والناس بطبعها تتقرب من العلماء وتحتاج إليهم أكثر ممن لو كان حاكما ظالما أو فاسقا، وأما القول حين أكمل العدد عمر بن الخطاب، فإن من كانوا مسلمين ومتخفين في دار الأرقم مع الرسول الكريم لا يمكن أن يكونوا جميعهم –أربعون– علماء؛ لأن الأمر كان في بادئه، ولو سلمنا بذلك فلا يمكن أن يبلغوا جميعهم مرتبة العالم؛ لأن الدعوة كانت تقتصر على الأساسيات؛ ولأن الإسلام كان حديث الولادة، ولكن قد يكون وقع منه سهوا، وأراد به أن يكونوا أربعين من الرجال الذين لهم العلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحنكة في الجهاد وتدبير الأحكام في مسلك الشراء.

- فائدة: تختلف إمامة الشراء عن الدفاع بذكر نص الشراء أثناء البيعة، "قال المصنف: عرفت أن بيعة الشراء إنما تزيد على بيعة الدفاع، بذكر الشراء خاصة، إذا ذكروا وقعت البيعة على الشراء وهي إمامة شراء. وإذا لم يذكر الشراء فهي إمامة دفاع والله أعلم"[2]

(١) عمان الديمقراطية الإسلامية، د حسين غباش، ص٦٩

(٢) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٦٢

ومن شروط مسلك الشراء:

(١) "أنه لا يجوز للشراة أن يستعملوا التقية الدينية مهما كانت الظروف ولأي سبب كان.

(٢) أن لا يقل عدد الشراة عن أربعين رجلا.

(٣) أن ينتخب الشراة إماما من بينهم تكون سلطته نافذة عليهم دون غيرهم من المسلمين ما داموا في مرحلة الثورة.

(٤) أن لا يجبروا أحدا على الالتحاق بهم.

(٥) أن لا يروعوا أحدا من المسلمين، ولا يقاتلونه إلا إذا بدأ هو بعدوان.

(٦) لا يجوز لمن اختار الشراء أن يعود إلى بيته وأهله إلا إلى حاجة ملحة وتكون إقامته مؤقتة. وفي هذه الحالة فإنه يعتبر غريبا في بيته ويجب عليه القصر في الصلاة كالمسافر.

(٧) لا يجوز للشراة أن يرجعوا عن هذا الأمر إلا إذا نجحوا وهمزوا عدوهم. "[١]

(٨) "أن لا يستقروا في مكان واحد، ولا يركنوا إلى الراحة؛ لأن مهمتهم تقتضي التنقل الدائم واليقظة المستمرة استعدادا لمباغتة العدو في كل لحظة.

(٩) أن لا يعترضوا سبيل المسالمين، ولا يروعوا الآمنين وأن لا يمسوا الشيوخ والنساء والأطفال بسوء وكل ضعيف.

(١٠) أن لا يهلكوا الحرث والزرع والأغلال، وأن لا يهدموا الأسوار والمباني إلا لضرورة تقتضيها المصلحة".[٢]

---

(١) عمان و الحضارة الإسلامية، د. عوض محمد خليفات و د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص٨٧

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٩١

(١١) "وينبغي أن يكون في الشاري عشر خصال عند الحرب: أن يكون قلبه كقلب الأسد، وفي الكبر ككبر النمر، لا يتواضع لعدوه. وشجاعة كشجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه. وفي حملة الخنزير لا يولي دبره إن حمل. وفي غارة الذئب إن أيس من وجه أغار من وجه آخر. وفي حمل السلاح الثقيل كالنملة، تحمل أضعاف قدر بدنها. وفي ثبات الحجر لا يزول من مكانه. وفي وفاء الكلب، لو دخل صاحبه النار اتبع أثره. وفي التماس الفرصة كالديك"[1]، وهذا كله من أجل أن يكون الشاري ذا قوة وبأس شديد، ولا يتطلع إلا إلى النصر أو الشهادة، ولا يستكين في طلبهما ما دام حيا.

المطلب الرابع: نماذج من أئمة الشراء:

إن مسلك الشراء لمسلك عظيم تميز عن غيره من المسالك، وتفرد به الإباضية عن غيرهم، إذ هو بيع للدنيا بحذافيرها، وترك للمال والبنون وما يتبعهما، واهمال للروح في سبيل إرضاء الله، وتحقيق للنصر وعدم قبول نزول العدو أو إحداثه منكرا أو ما يغير الدين. فقد كان هناك كثير من الإباضية ساروا إليه، وذلك بعد غيرة منهم على حرمات الدين وأحكامه المنزلة التي تنتهك نهارا جهارا، وليس من ناطق ينكر بذلك أو قوي يظهر عليهم، وهذا ما يعتبر ميزة عند الإباضية، – دون سواهم- فقد كان للشراء نتاجا عظيما ودورا كبيرا في الحفاظ على وجودهم واستمرارية بقائهم وثبات عزيمتهم وقوتهم وغلبتهم، ومن أبرز من بويع على الشراء وقد كان مثالا للصبر والهمة والقوة ومثالا للشهادة، الإمام الشاري أبو بلال مرداس بن حدير و "هو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم، اشتهر بمرداس بن أدية، وأدية أمُّه. تابعي من أيمة المذهب الأوائل. لازم الإمام جابر ابن زيد وأخذ عنه، والتقى عددا من الصحابة منهم ابن عباس وعائشة،

(١) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس الشقصي، ج٥، ص١٧٤

وعبدالله بن وهب الراسبي-ضي الله عنهم. . . "[1]، حيث ثار بعدما لم يسع الصمت على حال المسلمين، وبعد أن انتهك الأمويون ما انتهكوا، وأفسدوا وضيعوا حقوق الله وحقوق العباد وجاروا في الأرض واستعبدوا الخلق وطغوا وتجبروا، ما كان من أبو بلال وأصحابه الأشاوس إلا أن أنكروا ذلك، فلم يرضهم الحال ولم يسرهم أن يقعدوا بينهم، فخرج مرداس ومن معه بعد الضغوطات التي ألمت به، والمظالم التي كانت تأتيه من الأمويين والتي باتت غير محتملة، فخرجوا محاولين الابتعاد عن الطغيان، راجين سلامة ربهم وسلامة دينهم، مستمسكين بحبل الله ومعتصمين به، يريدون الفرار والتخلي عن حكم من لم يرتضونه عليهم حاكما، لا يلحقون أذى بأحد، ولا يعتدون على أحد، بل كان السلم هو شعارهم؛ لأن إمامهم كان "عابدا مجتهدا عظيم القدر. . . وكان لا يدين بالاستعراض، ويحرم خروج النساء، ويقول: لا نقاتل إلا من قاتلنا ولا نجبي إلا من حمينا"[2]، وهذه هي أخلاق وسمات الإباضية ككل، حيث أن منهجم لا يرمي إلى القتل أو التنكيل حتى على من خرج عليهم، إلا إن اضطروهم إلى ذلك؛ "فإن خرج الإمام داعيا إلى الله، هل يستحل دم من خرج إليه أو خرج عليهم من أهل القبلة؟ قال: لا، إلا بعد الدعوة إلى الحق وإقامة الحجة والإعذار والإنذار، ولا يبدؤهم بقتال حتى يبدأ بالدعوة فإذا دعاهم ولم يقبلوا الدعوة ويكفوا عن الحرب فإن حاربوه حاربهم"[3]، وقد كانت هذه أخلاق أبي بلال وأصحابه مع مخالفيهم، حيث لم يسلوا سيفا في وجه من سالمهم، بل حتى من واجههم إلا بعد أن أجبرهم على ذلك، دفاعا عن أنفسهم وذودا على أرواحهم، "وهذه السلوكية طبعت الإباضية في معاركهم ومعاملتهم لأهل الخلاف من المسلمين، وقد خالفتها الأزارقة وخاصة فيما يتعلق بالهجرة

(١) معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، مجموعة من المؤلفين، ج٢، ط٢، ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ، دار الغرب الإسلامي بيروت، ص٤١١

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م٣، ص٥١٨

(٣) السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، د سيده إسماعيل كاشف، ج٢، ص١٩١

والاستعراض وتشريكهم للمسلمين"[1] حيث إن أبا بلال كان شخصية قوية راسخة نظر إليه الكثير نظر إعجاب ودهشة، فـــ "كل المصادر التي كتبت عن أبي بلال قديمة كانت أم حديثة تنظر إلى هذه الشخصية الفذة بإعجاب شديد، باعتباره رمزا من رموز الثورة على الظلم دون تهور، وطلبا للحق دون تجبر"[2]، ويقول الإمام السالمي ممتدحا أبا بلال وصحبه: "والشراء درجة عظيمة لا يدركها إلا الخواص من الخواص وليس كل رجل كأصحاب المرداس والله يؤتي فضله من يشاء"[3].

ومما يذكر عن سمو ودماثة أخلاقه أنه عندما سجنه ابن زياد مع الكثير من صحبه تعجب الذي كان يحرسه، "فرأى السجان عبادته فأذن له كل ليلة في إتيان أهله، فكان يأتيهم ليلا ويعود مع الصباح، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد، فذكر ابن زياد الخوارج فعزم على قتلهم، فانطلق صديق مرداس إليه فأعلمه الخبر، وبات السجان بليلة سوء خوفا أن يعلم مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي كان يعود فيه إذا به قد أتى، فقال له السجان: أما بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: بلى. قال: ثم جئت؟ قال: نعم، لم يكن جزاؤك مني مع إحسانك إلي أن تعاقب. "[4] فمن يتتبع هذه السيرة لا ينصرف ذهنه إلا لسير الأتقياء الصالحين البررة، والأنبياء المتقين الموفون بعهدهم إذا عاهدوا، وهذا ليس بغريب على الإباضية، فالمنهج الذي تربوا عليه ليس إلا منهجا قرآنيا بحتا ومحمديا صِرْفا، ومن كان يبيع نفسه ونفيسه لله تعالى فلن يتخلى عن المبدأ الأساس الذي جاء به سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٥٥

(٢) منهج الدعوة عند الإباضية، د محمد صالح ناصر، ط٤، ٢٠١١م/١٤٣٢هـــ، دار الريام للنشر والتوزيع، حي المنـــدرين الصنوبر البحري المحمدية، ص٩١

(٣) تحفة الأعيان، الإمام السالمي، ج٢، ص٢٣٩

(٤) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م٣، ص٥١٩

ثم بعد أن خرج مرداس من الحبس قرر هو وأصحابه الخروج والهجرة، فخرجوا وكانوا أربعين رجلا يقصدون الأهواز، "وقد خرج في عام ٦١هـ على عبدالله بن زياد بعد أن ضيق كثيرا على خوارج البصرة. . . وكان عدد الذين خرجوا معه أربعين رجلا نزلوا قرية آسك في الأهواز"[١]، ولكن ابن زياد لما علم قرر ملاحقتهم وأرسل إليهم جيشا قوامه ألفي رجل يقودهم أسلم بن زرعة الكلابي، وبعد أن وصلوا إلى أبو بلال طلبوا منه مقاتلتهم فلم يفعل وطلبوا منه الرجوع إلى جماعة ابن زياد فأبى، فقام أحد من جيشهم ورمى فقتل رجلا من الشراة، فأمر أبو بلال أصحابه بعد أن بدأوهم بالقتال أن يهجموا عليهم فاندفعوا عليهم دفعة رجل واحد فهزموهم حتى ولوا هاربين، وبهذا أنشد أحد الإباضية أبياتا قال فيها:

أألفا مؤمن منكم زعمتم ... ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ... ولكن الخوارج مؤمنونا
هي الفئة القليلة قد علمتم ... على الفئة الكثيرة ينصرونا[٢]

ثم ما لبث ابن زياد إلا أن أرسل لهم جيشا آخر كان في ثلاثة آلاف مقاتل، عليه عباد بن الأخضر، "فصف له عباد وحمل عليه أبو بلال فيمن معه، فثبتوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر، فقال أبو بلال: هذا يوم جمعة وهو يوم عظيم وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلي. فأجابهم ابن الأخضر وتحاجزوا، فعجل ابن الأخضر الصلاة، وقيل قطعها، والخوارج يصلون، فشد عليهم هو وأصحابه وهم ما بين قائم وراكع وساجد لم يتغير منهم أحد من حاله، فقتلوا من آخرهم وأخذ رأس أبي بلال"[٣]. وهذا شأن البغاة، فهم لا يعرفون سوى الغدر ولا يحبون المجابهة ومقابلة الرجال الأبطال في ميدان المعركة، بعد أن أحسوا أنهم أمام قوة

(١) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص٥٤
(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م٣، ص٥٢٠
(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، م٤، ص٩٤-٩٥

إيمانية راسخة لا تتزعزع بعدد كثير مع ما كان في المقابل من عدد لا يتجاوز الأربعين رجلا، وأما أولئك الأشاوس فلم يشغلهم عن الصلاة شاغل، وقدموا دينهم الذي ما خرجوا إلا لأجله على القتال، وما أن دخلوا في طاعة ربهم وقربه والتذلل بين يديه حتى فاضت أرواحهم وارتفعت عنان السماء تلامس الخشية من ربها وترجوا رحمته ورضوانه وهي خاشعة لا يحركها ما حولها قيد أنملة، ولا تشعر بالدنيا ومتعاها الزائل، بل تشعر باللذة الإيمانية العميقة في صلاتها، فما كان من الغدار وأصحابه إلا استغلال هذه الفرصة التي سنحت له، فقام وأخذ عليهم وقتلهم وهم يصلون ربهم قياما وقعودا وسجودا، فرحم الله تلكم الأرواح المؤمنة التي صدقت الله ما عاهدت عليه حتى قضت نحبها وفاضت روحها إلى بارئها.

وكذلك القائد أبو حمزة المختار بن عوف، الذي ما انفك لقب الشاري عن كنيته كما يُعرف بـــ(أبو حمزة الشاري)، والذي كان من تلاميذ الإمام أبي عبيدة، وقد وجهه الإمام طالب الحق إلى مهمة دخول الحجاز سنة ١٢٩هـــ/٧٤٦م، وكان "يرافقه بلج بن عقبة الأزدي وأبرهة بن الصباح الحميري على رأس قوة عسكرية قوامها ما بين سبعمائة إلى ألف ومائة إلى مكة، واستطاع أبو حمزة الشاري أن يدخلها بدون قتال وكان ذلك في موسم الحج بعد أن فوجئ والي الحجاز عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بظهور الإباضية على جبل عرفات، وبعد التفاوض تخلى الوالي الأموي عن مكة بعد الحج مباشرة وفتح الإباضية مكة دون قتال"[1] وهذا ما كان يرمون إليه هو وأصحابه، حيث أن شعارهم هو السلم لا الحرب والدماء، وبعد ذلك قام وألقى خطبته الرنانة التي يسطرها التاريخ في كتبه ودواوينه، وقرر أن يذهب إلى المدينة ليخلص الناس من الغشم الذي ينكبون تحته ويكبتون أنفسهم فيه، ومن ظلم الأمويين الذي تشرى في الناس وأصبح الكثير يألفه ولا ينكره، فاستجمع جيش مروان في ثمانية

(١) بوارق الأيام، يحيى بن محمد البهلاني، ط١، ١٩٩٩م/١٤١٩هـــ، مكتبة أبي مسلم، ص٣١

آلاف مقاتل والتقوا في قديد ولكن أبا حمزة كعادته وعادة أصحابه لا يبدؤون قبل إقامة الحجة على الطرف الآخر، فأرسل لهم بلج بن عقبة وذلك؛ لأن أبا حمزة لم ينوي قتال أهل المدينة، وإنما كان يريد السير إلى أهل الشام حتى يحررهم من الظلم الذي يأتيهم من الحكام وولاتهم، ولكن أبوا إلا القتال، فصرعهم أبو حمزة وغلبهم، فخطب خطبته الثانية فيهم.

ثم بعد ذلك قامت معارك أخرى أودت إلى مقتل أبي حمزة وأصحابه، بعد صمود دام في عدة معارك مع العدد القليل الذين كانوا فيه، في المقابل كان العدو يضاهي عددهم وعدتهم أضعافا كثيرة. "هذا أبو حمزة الشاري لا الخارجي عاش حميدا ومات شهيدا في سبيل إحياء إمامة العدلــ، وما يزال كلما ذكر الشراء اعتبر رمزا من أهم رموزه، وكلما ذكرت الخطابة شهد الناس أنه علم من أعلامها"[1]، فذاك هو المختار بن عوف، سار سيرة الأخيار وانتهج كتاب الله وسنة نبيه، حتى يقيم الحق ويسد ثغور الباطل والوهن، وألقى بروحه الشريفة سلعة لله ولنصرة دينه تعالى، فرحم الله نفسا باتت تحرص على حرمات الله والدين وبعثت نفسها ونفيسها وخيلها وركابها في سبيل الله حتى وصلت إلى أرض الحجاز، والتي كانت تحلم أن تصل إلى مرتع الفساد وبؤرة الظلم لتمحق ما لا يرضي الله تعالى ولا يرضي عباده، ولكن الله تعالى لم يكتب لهم ذلك، بل كتب لهم ما هو خير لهم، آلا وهي الشهادة في سبيله تعالى.

ويذكر العلامة الكندي صاحب المصنف، "أن المهنأ بن جيفر كان شاريا، فبايعه موسى بن علي-على الإمامة على طاعة الله وطاعة رسوله محمد ﷺ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"[2] فقد كان قبل إمامة ظهوره شاريا، ثم بويع على الإمامة بعد ذلك. وكذلك ما يذكر من أهل الباطنة الذين خرجوا شراة في زمن السلطان سعيد بن سلطان، "وحدثني الثقة أن

(١) شخصيات إباضية، د فرحات الجعبيري، ص٤٩

(٢) المصنف، الكندي، ج١٠، ص٨٤

أربعين رجلا من خيار أهل الباطنة من أهل البطحاء ذكروا الشراء فرغبوا فيه وتعاقدوا عليه فقام عليهم أقاربهم ليمنعوهم منه لظنهم أنهم لا يقوون عليه فأبوا إلا الشراء وتعاقدوا عليه وأخذوا لأنفسهم أكفانا وخرجوا ليأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر"[1] وقد كانوا يريدون تأدية حق الشراء كما تعاهدوا عليه، ولكن لم يدم الأمر لهم حتى تفرقوا واختلفوا فعاد كل واحد منهم إلى داره.

(١) تحفة الأعيان، الإمام السالمي، ج٢، ص٢٣٨

الفصل الخامس: مسلك الكتمان.

المبحث الأول: مسلك الكتمان وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي:

المطلب الأول: معنى الكتمان لغة واصطلاحا:

أولاً: معنى الكتمان لغة:

"كتم: الكتمان: نقيض الإعلان، كتم الشيء يكتمه كتما وكتمانا واكتتمه وكتمه. وكاتمني سره: كتمه عني".(١)

"(كتم) السقاء – كتمانا وكتوما: أمسك اللبن والشراب. والشيء كتمانا، وكتمانا: ستره وأخفاه".(٢)

والكتمان هو الإمساك عن ظهور الشيء وإخفاءه وتغطيته خوف انكشافه.

ثانياً: تعريف الكتمان اصطلاحاً:

هي المرحلة التي يلجأ فيها الإباضية إلى استخدام وسيلة الصمت، و "هو الطريق الذي يسلكه أهل الحق عندما تكون السلطة الحاكمة جائرة، ظالمة، معطلة لشرع الله، وأهل الحق لا يستطيعون إزالتها، وإقامة حكومة عادلة مكانها"(٣) و الكتمان انعدام الظهور، فيكون "خلاف الظهور معنى وحكما"(٤) وكتم كل مما يمكن أن يؤدي إلى إفساد هذه المرحلة والدعوة، أو زعزعة عمالقتها دينيا ونفسيا، وتكون هذه المرحلة حال ضعف المسلمين وتشتتهم، "وهو تنظيم خاص للمجتمع

(١) لسان العرب، ابن منظور، م١٣، ص٢٣

(٢) المعجم الوسيط، ج٢، ص٧٧٦

(٣) الإمامة في الفقه الإسلامي، د. علي بن هلال العبري، ص٤٦

(٤) شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، سماحة الشيخ أحمد الخليلي، ص١٢١

الإباضي الذي عجز عن إقامة الدولة، لعدم توفر الشروط الكافية للظهور،"[1] ويكون عند الإعسار عن سلوك أي من المسالك الثلاثة، "ويعمل بها عندما تجد الحركة الإباضية نفسها في حالة تراجع أو سرية"[2] وتعتبر هذه المرحلة أدنى وأقل درجات الجهاد والعجز عن رد المظالم وإنكار المنكر باليد أو اللسان، ولا يكون فيها مساحة لأي ثورة أو انتفاضة، حيث يصبح كاهل المسلمين في ذلك الوقت لا يقوى على شيء سوى أن يكوّن تنظيما خاصا به على من يلم شمله في القيام بالتعليم ومبادئه والدعوة السرية في السراديب، واستعمال طرق الانعزال والتخفي والابتعاد عن الأنظار، وهذا فيه ما فيه من الضعف والشتات وقلة الحيلة هذا من جانب، وأما من جانب آخر فلا شك أن هذه المرحلة لو نظرنا إليها نظرة متأمل ومتدبر لوجدنا أنه يتخللها شيء من العبقرية والدهاء والتؤدة، "وتمتاز مرحلة الكتمان، بتنظيم جيد يقوم على مبادئ وتعاليم دقيقة تدل على قدرة الإباضية على التنظيم المتسم بالعقلانية والواقعية والاعتدال في التفكير وإصدار الأحكام ووضع المبادئ"[3] فهي بمعنى الحفاظ سلما،-حالا- وهي بمعنى التريث والترتيب والتنظيم- مستقبلا-، حيث تكون نظاما يهدف إلى إصلاح حال وتبديل أمر ما هو عليه، وتخطيط دقيق وذكي لكل ما يحيط وما يحدث، وتفاديا من رفع الصوت أو إذاعة ما يكون فيه الإباضية في تلكم المرحلة، والتي "فيها يتمكن المسلمون ويركنون إلى تنظيم أنفسهم تنظيما محكما، بعيدين كل البعد عن كل ما يبعث فيهم شبهة سياسة أو يفسد عليهم خططهم الدينية والاجتماعية الإعدادية"[4]، وهي وإن كانت من أقل المسالك قوة لضعفها وقلة حيلتها إلا أنها كان لها الدور والأثر الكبير لخلود هذا المذهب العريق منذ القرن الأول وحتى هذا الزمان، "والكتمان المحافظة على الدين بحيث لو أظهر لعطل عنه ومنع منه؛ فمن ضيع دينه فليس جاريا على حكم الكتمان، كما أنه ليس على

(١) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٩٥

(٢) عمان الديمقراطية الإسلامية، د حسين غباش، ص٦٨

(٣) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٩٥

(٤) الإمامة عند الإباضية، بكير بن بلحاج وعلي، ج١، ص٣٢٩

الظهور ولا على الشراء ولا على الدفاع"[1]. فإن الإمساك في حال الخطر أفضل، ما دام الجهر والظهور سيؤدي إلى فناء فئة أو تلقيها لأي خطر أو ضرر من السلطة الغاشمة والمسيطرة بالباطل، ومما يذكر في تاريخ الإباضية منها هذا المسلك على أنه "يطلق الإباضية على المرحلة التي كان فيها جابر بن زيد بمرحلة (الكتمان) التي استمرت حتى وفاته سنة ٩٣هـ"[2] حيث إن الإمام جابر هو أول إمام كتمان في تأريخ الإباضية، فقد كان مرتعا لبؤرة المذهب، وكان العامل السيد والأساس في التخطيط المبكر للثورات التي كانت تقع من حوله، والتي تكون من تلاميذه الذين يشرف عليهم بنفسه.

المطلب الثاني: أدلة الكتمان من الكتاب ومن العهد المكي:

إن مسلك الكتمان لم يكن مقتصرا على عصر من العصور في أمة محمد فحسب، بل امتد حتى كان في العصور السابقة التي ذكرها القرآن الكريم، ولهذا فقد سار الإباضية على النهج القرآني والنهج النبوي المكي، فأما من القرآن الكريم قصة هارون أخو موسى عليهما السلام، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فبعد أن خرج موسى عليه السلام وأمّر أخيه، ما كان من القوم إلا أشركوا بالله تعالى واتخذوا لهم عجلا، وكان هارون وحيدا أو معه قلة، وبهذا كان ضعيفا فاتخذ نهج الكتمان؛ لأنه رأى أنه مستضعف وأن التقية تسعه حتى لا يقتله القوم، وبهذا المبرر اقتنع موسى عليه السلام وعلم أن أخيه غير ملام؛ لأنه سكت و لم يظهر على الكافرين من قومه؛ لألى يقتلوه ويفنوا حياته، فلما أدرك الحقيقة وأيقن الذي

(١) شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة، ص١٩٥

(٢) الإباضية أهل الحق والاستقامة، محمد نمر المدني، ص١٥

وقع فيه أخيه صدقه بذلك ودعا ربه مباشرة، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥١]، فهذا دليل يقوي منهج الإباضية، وطريقة أخذهم بالتقية حال ضعفهم وخوفهم على مصالح أكبر.

وكذلك لو تتبعنا سورة الكهف الشريفة، وقصة أصحاب الكهف وما كانوا يعانوه من كفر قومهم وظلمهم واتخاذهم إلها من دون الله، حتى ضاق بهم الأمر أن يخرجوا وينعزلوا ويتركوا حالهم ويكتموا دينهم خوفا من أن يردوهم قومهم أو يقتلوهم إذا لم يرجعوا إلى ما كانوا يعبدون من دون الله، ويركنوا إلى مكان لا يستطيع أحد أن يمس دينهم أو يجبرهم على غيره، فأمرهم الله تعالى أن يأووا إلى الكهف الذي سيكون بر أمان لهم ولما يحملوه في أكنانهم، ويهبهم من رحمته ويبسط ويوسع عليهم من الضيق -الذي كانوا يلقونه من سلطانهم الكافر -ويهيئ لهم أمرهم بالمرفق الذي ينتفعون به، ثم يقول الله تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١٠]، فقد خرجوا مسالمين لا يبغون ظلم أحد ولا يعتدون على غيرهم، وذهبوا إلى كهفهم كاتمين أمرهم ومخفين عبادتهم ودينهم، محافظين على إيمانهم الراسخ وعقيدتهم الحقة، وذلك بعد أن "تزودوا من بيوت آبائهم وتصدقوا وهربوا خوفا من أن يقهروا على عبادة سلطانهم دقيانوس، وهم معه في مدينة أفسوس من مدائن الروم، والعرب تسميها طرسوس"[1]. حيث قال الله تعالى ممتدحا وممتنا لهم: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٣-١٤]، فبعد أن تمكن الإيمان في قلوبهم

(١) تيسير التفسير، قطب الأئمة اطفيش، ج٨، ص٢٩٧

ربط الله على قلوبهم وشد الإيمان فيها وأرشدهم إلى طريق يكون حرزا على أمرهم وصونا لدينهم، ويكون نتاجه الأخير تحقيق الهدف الذي لأجله سلكوا هذا المسلك، ألا وهو الإبقاء على دين الله كما نزل، وعبادته ولقاءه تعالى بالفوز والرضوان والنعيم الخالد.

وقد أجاز الله تعالى الكتمان، الذي لو كان خلافه لأدى إلى مفسدة أكبر وأعظم، وذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦]وقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨]، فأجاز أخذ التقية، ومن معاني التقية الكتمان. "وعلى أي حال ذلك كان الأساس الذي قدمه الإباضيون دليلا على الكتمان كواجب ديني من القرآن"(١).

وأما من السنة، فإن مسلك الكتمان "كمسلك النبي ﷺ في دار الأرقم قبل تمام الأربعين"(٢)، فقد اتخذ الإباضية هذا المنهج من العهد المكي الذي كان عليه النبي ﷺ، والذي كان فيه متخفيا عن أعين الكفار، و"استمر النبي ﷺ في دعوته السرية يدعوا عددا من الأتباع والأنصار من أقاربه وأصدقائه، وخاصة الذين يتمكن من ضمهم في سرية تامة، بعد إقناعهم بالإسلام، وهؤلاء كانوا نعم العون والسند للرسول ﷺ لتوسيع دائرة الدعوة في نطاق السرية. . . إن من معالم هذه المرحلة: الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وكان ﷺ يكوّن من بعض المسلمين أسرا، (خلايا) وكانت هذه الأسر تختفي اختفاء استعداد وتدريب، لا اختفاء جبن وهروب، حسبما تقتضيه التدبيرات. . . ولذلك

(١) دراسات عن الإباضية، د عمرو النامي، ص٢٨٣

(٢) شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة، ص١٩٧

نجد في القرآن الكريم آيات كريمة تحدثت عن الأخذ بالحس الأمني؛ لأن من أهم عوامل نهوض الأمة أن ينشأ الحس الأمني في جميع أفرادها، وخصوصا في الصف المنظم الذي يدافع عن الإسلام، ويسعى لتمكينه في دنيا الناس، ولذلك نجد النواة الأولى للتربية الأمنية كانت في مكة، وتوسعت مع توسع الدعوة ووصولها إلى الدولة. . . إن السيرة النبوية غنية في أبعادها الأمنية، منذ تربية الأفراد، وحتى بعد قيام الدولة. . . إن اهتمام المسلمين بهذا الأمر يجنبهم المفاجآت العدوانية. . . إن بناء الأجهزة الأمنية، ومكاتب المعلومات التي تقدم للقيادة التقارير لوضع الخطط المناسبة على إثرها ليس أمرا جديدا، بل هو موغل في تاريخ الإنسانية، وكذلك في تاريخ المسلمين، منذ عصر النبوة والخلافة الراشدة حتى يومنا هذا. . . ومما يدل على أن الرسول ﷺ كان يعد أتباعه ليكونوا بناة الدولة وحملة الدعوة، وقادة الأمم، هو حرصه الشديد على هذا التنظيم السري الدقيق، فلو كان مجرد داعية لما احتاج الأمر إلى كل هذا"[1] وبذلك فقد استمر نبي الله بالدعوة سرا وبطريق الخفية والكتمان، حيث كان مركز دعوته ومقر قيادته في دار الأرقم بن أبي الأرقم "وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم هذا، كان النبي ﷺ مستخفيا من قريش بمكة، يدعو الناس فيها إلى الإسلام في أول الإسلام حتى خرج عنها، وكانت داره بمكة على الصفا، فأسلم فيها جماعة كثيرة"[2]، فقد كان هذا المقر مخبأ سريا لولادة الدعوة الإسلامية، وحضنا دافئا للمسلمين الذين كانوا ينضوون تحته، وحصنا منيعا لهم من كفار قريش، ومهدا ناعما لبداية فجر الإسلام، وهذا ما فعله واتبعه أئمة الكتمان من الإباضية تبعا لمنهج سيدهم عليه السلام.

وأضيف إلى هذا فعل الإمام عمر بن عبدالعزيز قبل أن يصبح خليفة على المسلمين، وذلك في حكم من كان قبله، والفساد الذي حدث في عصره من بني أمية ومن آل مروان، فقد كان

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د علي محمد الصلابي، ج١، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ، ص٩٣-٩٦

(٢) من الهامش: السيرة النبوية لابن هشام، ص٢٥٣

يستعمل التقية ويكتم من أمره؛ لأنه ولربما ما وجد له صوت في تلك الأيام العصيبة، وفي هذا جواب من سماحة شيخنا الخليلي، حيث يقول: "ولربما يقول قائل: أين كان عمر، وهو يروح ويغدو في مراتع بني أمية، وبين ظهرانيهم، وتحت ألوية حكمهم، قبل أن يلي أمر الخلافة والحكم؟ ما باله لم ينقم عليهم ما كانوا فاعليه؟!. . الجواب: أن هذا لو كان صحيحا لكن هو في فسيح العذر، ما دام عاجزا عن التغيير، كيف و لم يأُل جهدا و لم يفوت فرصة عندما أمكنه التغيير، وعلى رغم تطاول عهدهم في استئصال شأفة الحق، وإعمال معاولهم في اجتثاث أسسه ونقض صرحه، ومع قصر عهده؛ فإنه أتى على ما عمروه من الباطل فتركه دكا دكا، وإلى ما خرّبوه من الحق فأعاده روضا نضيرا وربعا عامرا، على أنه مع هذا لم يهمل الإنكار عليهم، إبان أوج طغيانهم واستفحال عتوهم. . "[1].

المطلب الثالث: أحكام الكتمان وشروطه:

فبعد أن تستحيل ويستعصي على الإباضية المراحل الثلاث التي سبقت، ولا يكون هناك مجال لأي منها، وتضعف دولتهم، يختارون هذه المرحلة وهي مرحلة فيها قلة حيلة وضعف قوة وانكار بالقلب فقط، "إلا أنه إنكار الإيجابي المتحرك، لا إنكار الذليل المستكين"[2]، وبذلك تجوز لهم التقية بعد ما وصلوا إلى هذا الطريق والذي يعجزون فيه عن تطبيق الأحكام ورد المظالم وإقامة الحدود، "فترضى الأمة بالواقع وتستسلم لحكم الجبابرة ولا تجد سبيلا للثورة ضد الحكم"[3]، فيكون واجبا وجبرا عليها أن ترضخ تحت حكم السلطة، "وفي عهد الكتمان يكون على الإباضية أن يعيشوا في ظل الطغاة"[4]، تفاديا للصدام معهم، وحفظا للدين الذي لو ما كتم لذهب وفني هو وأصحابه.

---

(١) الاستبداد، سماحة الشيخ أحمد الخليلي، ص٧٤

(٢) الإمامة في الفقه الإسلامي، علي العبري، ص٤٧

(٣) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٩٤

(٤) دراسات عن الإباضية، د عمرو النامي، ص٢٨٦

وأما شؤونها فتكون موكوله إلى من يوكلونه إماما عليهم، يقضي شؤونهم وحوائجهم ويطبق فيهم ما يستطيع فعله بين ظهراني أعدائه. يقول الإمام الجيطالي: "وإن عدم الإمام فعلى المسلمين أن يقيموا لأنفسهم حاكما أفضلهم ورعا وأكثرهم فقها وعلما فيسندون إليه أمور الإسلام من فتيا النوازل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من مصالح الإسلام وقضاء حوائجهم فيدفعون إليه زكاتهم"(١)، وبهذا يكوّنون لهم تنظيما خاصا بهم، "وفي مرحلة الكتمان يركز الإباضية نشاطهم على جانبين. الأول: التنظيم الداخلي للمجتمع في المجال الديني والاجتماعي والتربوي والاقتصادي. والثاني: العلاقات الخارجية للمجتمع الإباضي بغيره من الطوائف المذهبية"(٢)، فيكون المقصد الأساس من الكتمان الحفاظ على الدين، والتعايش مع الطرف الآخر، والتطوير والتخطيط لمنهج يصلح أن يبقي على أعضاءه وينشئ لهم خارطة مستقبلية يكون السير عليها مؤديا إلى مرحلة الظهور.

وأما أحكام الكتمان فتكون ضيقة وقاصرة لا تمتد كما لو كانت في الظهور أو الدفاع أو الشراء، وذلك أن كثيرا منها تختفي ولا يمكن ممارستها أو العمل بها، حيث إن الكتمان مبدأه لا يتعدى بأن يكون تعايشا خارجيا فقط، أي رضى شكلي لا يصل إلى الرضاء الداخلي، —وهو المعنى بالتقية- وبذاك لا يمكن في هذه المرحلة فعل ما يمكن أن يخرب ويهدم ما بنيت لأجله، "والناحية الأهم هي تعليق العمل بعقوبة الحد في أثناء فترة الكتمان"(٣)، إذ لو كان يطبق الحد على المخالف لما كان هناك حاجة في تسمية هذه المرحلة بالكتمان، ولكان ذلك ظهورا. بالإضافة إلى أن تطبيق الحدود والأحكام لا تكون إلا بإمام -كما سبق وذكرنا- ، وفي هذه المرحلة ينعدم الإمام ويكون إمام الكتمان من أجل تسيير هذه الحركة فقط وتنظيمها، وأما عند غيره —من هو

(١) قواعد الإسلام، الجيطالي، ج٢، ص٥٤

(٢) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون، ص١٩٥ وما يليها إلى ص٢٠٦

(٣) دراسات عن الإباضية، د عمرو النامي، ص٢٨٥

خارج هذا التنظيم- فهو ليس إلا فرد عادي من أفراد المجتمع، وبذاك ليس في مقدوره إلا فعل ما يمكن في الخفاء والستر.

فكما أن الكتمان له دور في المحافظة على الدين، فلا ننسى دوره في الحفاظ على المجتمع الذي يضمه من حيث الشكل ومن حيث المضمون، ويكون "شكلا من حيث المؤسسات من الأسرة ومجلس العائلة والعشيرة إلى المسجد والبلدة ومجلس أعيان المساجد. . . ومضمونا من حيث القيم والعادات والتقاليد والتراث الأصيل بمختلف أنواعه وفنونه، مع الاهتمام بالجانب الثقافي لما له من فعالية في استنهاض الهمم وشحذ العزائم وذلك بحسن تربية النشء والعناية بتعليمه وتلقينه أصول دينه"[1] فيكون التعليم والتلقين والتربية في هذه المرحلة أكثر من المعتاد ومبالغ فيه، حتى يصنع جيلا قادرا على استيعاب أمر الأمة، متمكنا في الأخذ بها، مقداما لها، رافعا رايته، مستمسكا لنصرتها، وحتى يكون مستعدا لتنفيذ المخطط الذي بدئ فيه منذ بداية هذه المرحلة، ومواصلة السير على ما عهدوه في من كان قبلهم.

هذه المرحلة تكون سابقة لأمر وواقع مشرق يليها، أي يأتي بعدها نصر وفرج، وذلك لما فيها من الصبر وكتم الأمر والغيض والتستر في الخفاء حفاظا على الدين والنفس، وذلك كما كان حال النبي ﷺ وأصحابه في بداية الدعوة في مكة، حيث كان المشركين مسيطرون على الدولة حكما وموقعا وقوة وكذلك دينا، فسلك المسلمون مع رسول الله الكتمان خوفا من فناء الدين ورجاله إن أحدثوا ما يظهر عملهم، ومن الهلاك الذي يغلب على ظنهم إن أظهروا أمام المشركين ما يعزمون عليه وما يؤمنون به.

وكذلك يعتبر مرحلة للتخطيط العميق وزرع النفوس المؤمنة وشحنها وغرس الدين في ألبابهم بمبادئه الحقة، وإنشاء فكر واع متدبر، وخَلْق الصفات الحميدة في قلب كل منهم، وهذا عامل

(١) الفكر السياسي، عدون، ص١٩٦

أساس في صمود الإيمان وتغلغله في أفئدتهم، ونشر ما يراد ظهوره أصلا عند عدم التمكن من الظهور في ما بينهم، وهي الثمرة المجناة، وهنا يكون التنظيم محكما دقيقا، بعيدا عن أي ما يمس الخصوصية المراد كتمها أو ما يبث الشك والريبة والشبهة عند عدوهم.

فالمراد من هذه المرحلة الحفاظ على الدين، والبقاء على عهده، والتخطيط المنظم لما هو قد يكون ممكنا لو حافظوا على هدوئهم والتزموا الصمت مع العمل الخفي، وهذا هو ما ينهجه مسلك الكتمان حقيقة ويفضي إليه، "وفي هذا المسلك يبتعد أهل الحق عن مسرح الحياة السياسية، ويمتنعون عن التعاون مع السلطة القائمة، ويرفضون تولي المناصب التي تزيد من مكانتها وسطوتها، وتقتصر علاقتهم معها في الأمور المفترضة مثل جباية الأموال المؤداة إليها، كما يعتنى في هذا المسلك بالتربية وتأهيل الأفراد، وإعدادهم روحيا وعلميا، وإقامة مراكز التعليم والمعرفة"(١)

وأما شروط هذه المرحلة وما يسمح للدخول فيها، هو تعذر أي من المراحل الثلاث السابق ذكرها، فبعد أن تتعذر وتضعف الدولة ولا يمكن فعل أي شيء، وذلك قد يكون بقلة العـــدد أو القوة الغالبة في صف العدو أو مواجهة بغاة لا يقدر عليهم، فتكون هذه المرحلة متاحة، وكذلك إن أكره على سلطة العدو فله التقية، يقول الله ﷻ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ٢٨﴾ [آل عمران: ٢٨]، فهنا دليل على جواز الأخذ بالتقية حال الخوف من تعطيل الدين أو تضييعه، فيكون الكتمان تقية، وما جاز أن تكون فيه التقية جاز كتمانه وستره وإخفاؤه.

المطلب الرابع: نماذج من أئمة الكتمان (أبو عبيدة وجابر بن زيد أنموذجاً):

إن مسلك الكتمان له من الدور العظيم ما له، وذلك في تربية النشء تربية صالحة وزرع للدين وغرسه في قلوبهم، وتمكينه من معرفة أسس دينه وأصوله وفروعه، حتى وإن كان ذلك على

(١) الإمامة في الفقه الإسلامي، العبري، ص٤٦-٤٧، نقلا عن: الإباضية في موكب التاريخ، معمر، الحلقـــة الأولى،ص٩٥-٩٦.

سبيل الخفية والخوف، "وفي سيرة أئمة الإباضية الأولين نماذج عملية، كجابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة اللذين قاما بتنظيم وتطوير التنظيمات السرية للمذهب"(١)، وذلك ظاهر من تلاميذ الإمام الكبير العملاق أبو عبيدة، حيث بعثهم إلى ميادين الظلم لإزاحة الظالمين من أرض الإسلام، وتطهير آفاقهم وقاذوراتهم، وتطبيق منهج الرسول عليه الصلاة والسلام في الأخذ بالكتاب العزيز، والإندارج على سنته ﷺ، وهذا ما أخذ به أولا الإمام التابعي الهمام أبي الشعثاء جابر بن زيد ﷺ، الذي كان أعلم أهل الأرض في زمانه، "ولم يقتصر على ميدان العلم والتقوى، وإنما كان نموذجا لهذا الصنف من العلماء الذين يسّخرون علمهم لإسعاد الأمة الإسلامية، ومحاولة تغيير الواقع السيء إلى واقع أفضل، فجاهد لإحياء سنة رسول الله بالقول والعمل، ودعا إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ سرا وعلنا، وحارب الظلم والجور، وواجه الانحراف والانحلال، فكان يبارك الدعوة التي تسعى إلى الإطاحة بالظلم بالثورة عليه، وتسعى إلى نزع الحكم من أيدي الجبابرة إلى أيدي العدول من أمة محمد ﷺ. كان لابد عندئذ أن تكون صلة قوية بأهل الدعوة، بل كان لابد أن يكون هو قائدها ومنظمها ورائدها، ولو سلك في ذلك سبيل السرية والتقية"(٢)، وذلك أخذا بسنة النبي الكريم عندما كان في بداية الدعوة في مكة المكرمة، والتفاف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بالنبي، فقد كانوا يأخذون منه ما يحتاجون ويتلقون ما يعنيهم ويعينهم على أمور دينهم ودنياهم وأخراهم. هذا فقد استن أبو الشعثاء بمنهج المشرع، وذلك "عندما أبصر ببصيرته الثاقبة تعذر انتظام المسلمين في وقته واجتماع شملهم على القيام بإنشاء نظام إسلامي يتحدى النظام القائم آنذاك"(٣)، فسلك في مرحلة الكتمان حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ويذهب ويذهب ما يرجى وقوعه سدى، فتعايش مع الذين كانوا حوله دون أن يظهر منه ما يعيب، وأما

(١) الإمامة عند الإباضية، بكير، ج١، ص٢٣٠

(٢) منهج الدعوة عند الإباضية، د محمد صالح ناصر، ص١١١

(٣) شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، سماحة الشيخ أحمد الخليلي، ص١٢١

حاله في المجتمع والسياسة فقد كان "من أهل العلم الذين اختاروا الاحتكاك بالأمة ومعايشتها في سرّائها وضرّائها"[١]، وكان بعيدا عن السلطة، حيث "ظل الإمام جابر وثيق الصلة بجماعة الدعوة ويسعى جاهدا للحفاظ على سرية الحركة وإخفاء مبادئها ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة التي انتهجها جابر وأتباعه فإن السلطة الأموية لم تستطع أن تضع يدها على أي مجلس من مجالسهم السرية"[٢] و لم يقتصر الإمام جابر على الدعوة بين الرجال فحسب، بل "تميزت دعوة الإمام جابر بن زيد بالاهتمام بالمرأة، وإعطائها دورا فعالا في نشاطات الحركة الإباضية، وكان من رؤساء الحركات السياسية القلائل الذين جعلوا للمرأة دورا هاما في تنظيماته، فمن المحتمل أن يكون الإمام جابر بن زيد قد أوجد خلايا خاصة بالنساء أشرف عليها بنفسه"[٣]. ويظهر أثر حفظ المذهب الإباضي على يد الإمام جابر، وذلك بعدة طرق كان يستعملها، منها أنه كان يأمر بحرق أو تمزيق الرسائل التي يبعثها بعد الانتهاء من قراءتها، وإخفائه الدروس المتعلقة بتعميق المذهب وقواعده، ورفضه تولي القضاء، وإظهاره الضعف مخافة انكشاف أمره.

وقد هيأ الله تعالى من يمسك بزمام القيادة من بعده، فقد تابعه على ذلك الإمام المحنّك أبي عبيدة، "الذي نضج في عهده الجَهد، فآتت الدعوة ثمارها الطيبة، إذ تمخضت عن ميلاد بيعات لأئمة ظهور بارزين"[٤] وذلك بعد ما ألقى أبو عبيدة نفسه في طلب العلم وخدمة مجتمعه في البصرة وفي بيت الله الحرام، فقد بوأته جماعته "المكانة التي تليق به ألا وهي إمامة الكتمان التي

(١) نفحات من السير، د فرحات الجعبيري، ط١، ١٩٩٤م/١٤١٤هـ، ص٨٥

(٢) الإمام جابر وتأسيسه الفكر الإباضي، زيانة بنت خلفان الحارثية، ط١، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، مكتبة الجيل الواعد، ص١٣٢

(٣) الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية –رسالة ماجستير–، سامي صقر عيد أبو داود، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٢١

(٤) شرح غاية المراد، الشيخ الخليلي، ص١٢١

تحرص على الاستعداد لإمامة الظهور"[1]، فقد كان إمام الكتمان، والمخطط الداهية، والمعلم المخلص، والذي أرسل تلاميذه إلى فتوحات سجلها التاريخ ودونها إلى هذا اليوم فخرا وشرفا بهم لما كان لها من نتائج جعلت في هذا المذهب البقاء والدوام والاستمرارية، حيث انتشر في كثير من البقاع التي خرجوا بها، وهذا ما كان له دور في ثباته وبقاء وجوده، وذلك ما يظهر جليا بطرق التخفي والكتمان التي كان يأخذ بها، كصنع القفاف، حتى لُقّب ب(القفاف)، وهذا يتبين لنا كيف أنه أخفى أمرا لم يعرف به، وأظهر الذي تعارف الناس به عنه، واعتماده الحلقات السرية، حيث كان يضع سلسلة تصدر صوتا تنبؤ عن قدوم أحد مما يعلمه بترك الحلقة ومواصلة العمل الذي أراد إظهاره للناس واستخدامه كحيلة تنطلي على الآخرين، وكانت هذه المجالس العلمية كل واحدة ولها دورها، فقسمها إلى مجالس عامة، ومجالس المشائخ، ومجالس لإعداد الدعاة.

وعلى هذا فإن هذا النظام الدقيق المتبع الذي يكون فيه مجموعة فريدة من الناس يحمون ظهور بعضهم ويتكاتفون في ما بينهم ويعلمون ويتعلمون من بعضهم البعض ويراقبون المجتمع ويربون الناشئة أحسن تربية وأحسن خلق، لمجتمع لا يركن أهله إلا للحق، ويكون مجتمعا قويا لو سنحت له الفرصة في الظهور لما تواهن لحظة، ولكن الزمان هو الحاكم بظهورهم وشروق شمسهم!.

(١) نفحات من السير، فرحات الجعبيري، ج٣-٤، ص٨

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبطاعته تدوم البركات، وتطيب الحياة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. . . وفي ختام هذا البحث "مسالك الدين، وأثرها في الحفاظ على الوجود الإباضي" أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

(١) على الباحث أن يستقي الأخبار وخصوصا أخبار التاريخ من مصادرها ومن أمهات الكتب الموثق بها.

(٢) على كل من دخل بوابة التاريخ أن يمحص ويدقق في الحقائق، ولا يتبع الهوى، أو يأخذ ممن لا يؤمن بالحياد في المسيرة التعليمية.

(٣) يجب التفريق بين تأريخ الإباضية وغيرهم، وعدم خلط الحقائق أو تدليسها أو المغالطة فيها.

(٤) من لم يقرأ في سير الإباضية فليس له الحق في الحكم عليهم بما يسيئ سيرتهم، أو التقول عليهم بما يتنافى مع واقعهم.

(٥) أن الحركة الإباضية نشأت وولدت بعد افتراق الإباضية عن صف علي والخروج عنه.

(٦) أن الإمام عبدالله بن وهب الراسبي -يعتبر على حسب الأحكام والشروط- إمام ظهور لا إمام دفاع كما ذكر ذلك الشيخ إبراهيم أطفيش وشيخنا الخليلي.

(٧) أن الرسول ﷺ(المشرع) هو قدوة الإباضية الذين يسلكون ويأخذون منه أحكامهم الدينية والدنيوية ومنها الأحكام السياسية وأحكام الإمامة.

(٨) أن الإباضية لم يكونوا يهدفون إلى تحقيق مصالح دنيوية، أو السعي لطلب السلطة والجاه أو طلب المال بل كان دورهم واضحا جليا يسعى إلى تحرير كل ظلم أو قهر وكان مبدأهم يقوم على السلم وكف الأذى والامتناع عن جبر الناس ما لا يرضونه.

(٩) أن ثورة طالب الحق كانت بداية شرارة لظهور أئمة ظهور والمرجع لذلك والفضل للإمام المحنك أبو عبيدة.

(١٠) أن تاريخ عمان في عهد الأئمة المرضيين كان عهد ازدهار أثبت صلابة المذهب الإباضي وبيّن حقيقته التي كانت مغموطة عند الكثيرين وفي عدة عصور.

(١١) أن الشروط والأحكام والقيود الواردة تحت كل مسلك هي إجبارية لا تنفك عنه ولا يمكن تجاوزها.

(١٢) إن نظام العزابة هو مظهر من مظاهر الكتمان الممزوج بالظهور، وذلك أنه يجمع بين كلا المسلكين.

(١٣) أن المنصفين في المذهب الإباضي —من غير الإباضية– هم من متأخري هذا العصر، وقد أوضحوا هذه الحقيقة خلال كتاباتهم دون محق لأي حقيقة غالبا.

المصادر والمراجع

(١) الإباضية أهل الحق والاستقامة، محمد نمر المدني، ط٤، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية، الشيخ العلامة علي يحيى معمر، ط٣، ٢٠١٤م/١٤٣٥هـ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع السيب.

(٣) الإباضية بين حراسة الدين وسياسية الدنيا، د إسماعيل بن صالح الأغبري، ط١، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.

(٤) الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، د نايف عيد جابر السهيل، ط٢، ١٩٩٨م/١٤١٨هـ، مكتبة الاستقامة مسقط.

(٥) الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة، د رجب محمد عبدالحليم، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع سلطنة عمان السيب.

(٦) الإباضية في موكب التاريخ، الشيخ علي يحيى معمر، ط٣، ٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ، مكتبة الضامري مسقط.

(٧) أجوبة المحقق الخليلي، الإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، مكتبة الجيل الواعد.

(٨) الاستبداد مظاهره ومواجهته، سماحة الشيخ العلامة أحمد الخليلي، ط١، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ

(٩) الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية –رسالة ماجستير–، سامي صقر عيد أبو داود، ط١، ٢٠٠٠م.

(١٠) الإمام جابر وتأسيسه الفكر الإباضي، زيانة بنت خلفان الحارثية، ط١، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، مكتبة الجيل الواعد.

(١١) الإمامة عند الإباضية، بكير بن بلحاج وعلي، مكتبة الضامري السيب، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ.

(١٢) الإمامة في الفقه الإسلامي، د. علي بن هلال العبري، ط١، ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ، مكتبة الضامري السيب.

(١٣) الباب لمعرفة تاريخ الأصحاب، زاهر بن سعود السيابي، ط٢، ٢٠١٣م/١٤٢٤هـ.

(١٤) بوارق الأيام، يحيى بن محمد البهلاني، ط١، ١٩٩٩م/١٤١٩هـ، مكتبة أبي مسلم.

(١٥) التجربة السياسية عند الإباضية، فرحات الجعبيري، ط١، ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ.

(١٦) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، الإمام نور الدين السالمي، ج١، ١٩٩٧م/١٤١٧هـ، مكتبة الاستقامة.

(١٧) تيسير التفسير، قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش، ج٣، ط١، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

(١٨) جامع أبي الحسن البسيوي، العلامة الشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسيوي، ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان.

(١٩) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، ١٩٨٨م/١٤٠٩هـ، مكتبة الاستقامة.

(٢٠) جوهر النظام، الإمام نور الدين السالمي، ط١٤، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، مكتبة الإمام نور الدين السالمي السيب الحيل الجنوبية.

(٢١) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ط١، ١٩٨١م/١٤٠١هـ، دار الاتحاد العربي.

(٢٢) الحركة الإباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ط٢، دار الحكمة لندن، ٢٠٠٣م.

(٢٣) الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز، الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي، ١٩٨٠/١٤٠٠هـ.

(٢٤) دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، بكير بن سعيد أعوشت، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.

(٢٥) دراسات عن الإباضية، د عمرو خليفة النامي، ط١، ٢٠٠١م، دار الغرب الإسلامي بيروت.

(٢٦) الدولة في الفكر الإباضي، د محمد صابر عرب، ط٢، ٢٠١٣م، دار الشروق القاهرة مصر.

(٢٧) السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، ت: د سيده إسماعيل كاشف، ط١، ١٩٨٦م/١٤٠٦هـ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

(٢٨) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د علي محمد الصلابي، ج١، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ.

(٢٩) السيرة النبوية لابن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، المكتبة العلمية بيروت لبنان.

(٣٠) شخصيات إباضية، د فرحات بن علي الجعبيري، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، مكتبة الضامري السيب سلطنة عمان.

(٣١) شرح عقيدة التوحيد، قطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش، ت: مصطفى بن الناصر وينتن، ط٢، ٢٠١٥م/١٤٣٦هـ، المطبعة العربية ١١ نهج طالبي أحمد غرادية.

(٣٢) شرح غاية المراد، سماحة الشيخ أحمد الخليلي، ط١، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطنة عمان.

(٣٣) عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث، د حسين غباش ط٤، ٢٠٠٦م، دار الفارابي بيروت لبنان.

(٣٤) عمان عبر التاريخ، الشيخ سالم بن حمود السيابي، ج٢، ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان.

(٣٥) عمان و الحضارة الإسلامية، د. عوض محمد خليفات و د. سعيد عبدالفتاح عاشور.

(٣٦) الفكر السياسي عند الإباضية، عدون جهلان، ط٣، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، مكتبة الضامري السيب.

(٣٧) في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٣٩، ٢٠١١م/١٤٣٢هـ، دار الشروق مصر القاهرة.

(٣٨) قواعد الإسلام، الإمام أبي الطاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، ط٣، ١٩٩٥م/١٤١٦هـ، مكتبة الاستقامة.

(٣٩) الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ، ط٧، ٢٠٠٥م/١٤٢٦هـ، دار صادر بيروت لبنان.

(٤٠) كتاب الأغاني، أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، ت: د إحسان عباس، د إبراهيم السعافين، بكر عباس،ط١، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ، دار صادر بيروت لبنان

(٤١) كتاب الجامع، الإمام العلامة أبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة البهلوي، ت: عيسى الباروني ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان.

(٤٢) لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، ط٤، ٢٠٠٥م، دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان.

(٤٣) مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، المستشرق البولندي بيير كوبرلي، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.

(٤٤) المسالك النقية إلى الشريعة الإسلامية، العلامة القاضي سالم بن حمد الحارثي، ط١، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي.

(٤٥) المصنف، أبي بكر أحمد بن عبدالله الكندي ، وزارة التراث سلطنة عمان، ١٩٨٣م/١٤٠٣هـ.

(٤٦) معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، مجموعة من المؤلفين، ط٢، ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ، دار الغرب الإسلامي بيروت.

(٤٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع اسانبول تركيا.

(٤٨) معجم مصطلحات الإباضية، ط١، ١٤٢٩/٢٠٠٨هـ، ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلطنة عمان.

(٤٩) معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ط٢، ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ، وزارة الأوقاف سلطنة عمان.

(٥٠) مقدمة التوحيد وشروحها، للعلامة أحمد بن سعيد الشماخي والعلامة داود بن ابراهيم التلاتي، مسقط.

(٥١) ملامح من التاريخ العماني، الشيخ الأديب سليمان بن خلف الخروصي، ط٤، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ

(٥٢) منهج الدعوة عند الإباضية، د محمد صالح ناصر، ط٤، ٢٠١١م/١٤٣٢هـ، دار الريام للنشر والتوزيع، حي المندرين الصنوبر البحري المحمدية.

(٥٣) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، العلامة خميس بن سعيد الشقصي، ط١، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، مكتبة مسقط.

(٥٤) نتائج الأقوال نثر مدارج الكمال، العلامة سعيد بن حمد الحارثي، ط٣، ٢٠١٤م/١٤٣٥هـ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع السيب سلطنة عمان.

(٥٥) نشأة الحركة الإباضية، د. عوض خليفات، ط١، ١٤٢٣/٢٠٠٢هـ، وزارة التراث والثقافة.

(٥٦) نظرية الإمامة عند الإباضية، مالك بن سلطان الحارثي، ط١، ١٩٩١م/١٤١١هـ، رسالة تخرج في الجامعة الأردنية.

(٥٧) نفحات من السير، د فرحات الجعبيري، ط١، ١٩٩٤م/١٤١٤هـ

(٥٨) نفحات من السير، فرحات الجعبيري، ٢٠٠١م/١٤٢١هـ.

(٥٩) الورد البسام في رياض الأحكام، الإمام عبدالعزيز بن الحاج ابراهيم الثميني، ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ، وزارة التراث سلطنة عمان.

(٦٠) الوسيط في التاريخ العماني، أحمد بن سعود السيابي، ط٢، ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع السيب سلطنة عمان.

فهرس المحتويات

ملخص البحث ..... ب
الإهداء ..... ه
كلمة شكر ..... و
المقدمة ١
الفصل التمهيدي: نشأة المسلك في المذهب الإباضي ٤
المبحث الأول: التعريف بالمسلك: ٤
المطلب الأول: المسلك لغة: ٤
المطلب الثاني: المسالك اصطلاحاً: ٥
المبحث الثاني: تاريخ نشأة المسلك في المذهب الإباضي وتطبيقات المسالك: ٧
المطلب الأول: تاريخ نشأة المسلك في المذهب الإباضي: ٧
المطلب الثاني: تطبيقات المسالك: ٩
الفصل الثاني: مسلك الظهور ١٢
المبحث الأول: مسلك الظهور وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي: ١٢
المطلب الأول: معنى الظهور لغة واصطلاحاً: ١٢
أولاً: معنى الظهور لغة: ١٢
ثانياً: الظهور في الاصطلاح: ١٣
المطلب الثاني: أدلة الظهور من عهد النبي والخلفاء: ١٥
المطلب الثالث: أحكام الظهور وشروطه: ١٨

المطلب الرابع: نماذج من أئمة الظهور: ٢٣
الفصل الثالث: مسلك الدفاع..... ٤٣
المبحث الأول: مسلك الدفاع وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي: ٤٣
المطلب الأول: معنى الدفاع لغة واصطلاحاً: ٤٣
أولاً: معنى الدفاع لغة:..... ٤٣
ثانياً: معنى الدفاع اصطلاحاً:..... ٤٤
المطلب الثاني: أدلة الدفاع من عهد الصحابة: ٤٨
المطلب الثالث: أحكام الدفاع وشروطه: ٥٠
المطلب الرابع: نماذج من أئمة الدفاع:..... ٥٣
الفصل الرابع: مسلك الشراء..... ٦٢
المبحث الأول: مسلك الشراء وأثره في الحفاظ على الموجود الإباضي: ٦٢
المطلب الأول: معنى الشراء لغة واصطلاحاً:..... ٦٢
أولاً: معنى الشراء لغة:..... ٦٢
ثانياً: تعريف الشراء اصطلاحاً:..... ٦٤
المطلب الثاني: أدلة الشراء من الكتاب ومن الأحداث التاريخية: ٦٦
المطلب الثالث: أحكام الشراء وشروطه:..... ٧٣
المطلب الرابع: نماذج من أئمة الشراء: ٨٠
الفصل الخامس: مسلك الكتمان. ٨٧
المبحث الأول: مسلك الكتمان وأثره في الحفاظ على الوجود الإباضي:..... ٨٧
المطلب الأول: معنى الكتمان لغة واصطلاحا: ٨٧

أولاً: معنى الكتمان لغة: ٨٧
ثانياً: تعريف الكتمان اصطلاحاً: ٨٧
المطلب الثاني: أدلة الكتمان من الكتاب ومن العهد المكي: ٨٩
المطلب الثالث: أحكام الكتمان وشروطه: ٩٣
المطلب الرابع: نماذج من أئمة الكتمان (أبو عبيدة وجابر بن زيد أنموذجاً): ٩٦
الخاتمة ١٠٠
المصادر والمراجع..... ١٠٢
فهرس المحتويات ١٠٧

